هند الهلاوى

العزف
على أوتار الطفولة

رواية

(الجزء الأول)

طبعة أولى مارس 2019

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : العزف على أوتار الطفولة
المؤلِّف : هند الهلاوى
التصنيف : رواية (الجزء الأول)
رقم الإيداع : 4244 - 2019
عدد الصفحات : 94 صفحة
رقم الإصدار الداخلي : 334 – الطبعة الأولى يناير 2019





الإهـــــــداء

أهدى الجزء الأول من روايتى إلى

اللواء دكتور ناصر المغربى

الأستاذ حسام أبو العلا

(صحفى وقاص وروائى)

الشاعر رضا أبو الغيط

الأستاذ أحمد سامى خاطر

أحفادى

محمد طه نصر

ياسين أحمد نصر

رونزا أحمد نصر

زوجى هشام عبد المنعم

عسى أن تنال إعجابكم فهى بعض منى

هند الهلاوى

المقدمة

اشتهى طفلة ، وعندما رزقه الله بها ، عزف على أوتار طفولتها ، وفي أول أيام حياتها حُكم عليها بأن يكون لها إسم غير إسمها ، وعمر غيرعمرها ، وحياة ليس بحياتها ، وأن تدفن مشاعرها وأحاسيسها ، وأورثها بين ضلوعها طفلة ممزقة وتركها تعزف علي أوتار الزمان لحنها الحزين بدموع لم تفارقها وأسئلة كثيرة لم تجد لها أجوبه .

فهل يحق للأباء أن يعزفوا علي أوتار طفولة بناتهم ؟! هذا اللحن المميت الذي يشوه حياتهن ويحرمهن من أقل الحقوق لديهن في الحياة ، ويحرمهن من تحقيق أحلامهن ، وآمالهن ، ويجعلهن ناقمين علي حياتهن لمجرد كونهم سببا في وجودهن في الحياة ، ويريدون إثبات رجولتهم علي حساب حق الأنثي ، ويحرمونها من الإختيار وتحديد المصير !



العزف علي أوتار الطفولة

الجزء الأول

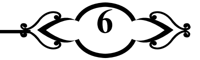
عاد محمد من الحرب بعد انتصارنا في حرب ألف تسعمائة وثلاثة وسبعين ميلاديا ، عاد ومعه فرحة كبيرة لقريته التي يقيم بها ، عاد ومعه نصر أكتوبر بعد فقدانه وانقطاع أخباره لمدة شهرين بعد انتهاء الحرب ، عاد مع دقات الساعة الواحدة بعد منتصف الليل السابع من ديسمبر من نفس العام وكان يوما شديد البرودة ، دق باب المنزل فخرجت زوجته صفاء .

قالت : من بالباب ؟!

قال لها : أنا محمد زوجك افتحي .

ولكنها أحست أن الصوت متغير، فقد كان صوته قويا ذا نبرة مميزة ، فنظرت من النافذة قبل أن تهبط من الدور الثاني لتفتح له الباب فوجدته يقف مستندا على حائط المنزل مرتديا زيه العسكري ويضع علي رأسه القبعة العسكرية ، وقد كان فارع الطول ، نحيفا ، شعره بني ناعم ، عيونه ملونة بكل الألوان ووجهه أحمر مثل الأتراك .

فتحت صفاء الباب وسط لهفة شقت ضلوعها ، فنظر إليها ونظرت إليه وفي عينيها شوق ولهفة وحنين عميق ، تخيلت أنه



يضمها في أعماق حضنه ليشبع رغبة الشوق التي بداخلها ، فنظر إلي عينيها السوداوين وشعرها المنساب علي كتفيها ووجهها الأبيض المضئ ووجنتيها اللتين تشبهان لون التفاح وشفتيها مثل حبتى الفراوله وعودها الطويل الملفوف ، ولكن مع كل هذا الجمال لم يؤثر في خاطره .

هو عائد من الحرب منهك ومتعب جدا وكأنه لايشعر بحواسه المشتاقة ، سلم عليها سلاما فاترا ليس به أي اهتمام ، لكنه فرح عندما وجدها علي وشك الوضع فأمسك بيدها وذهبا معا إلي غرفتيهما وخلع ملابسه وتوضأ .

قال محمد : صفاء أحضري لي الطعام أنا جائع .

قامت صفاء لإحضار الطعام .

ذهب محمد ليري طفله أكرم فوجده نائما على سريره والغطاء مرفوع عنه فأسرع وبسط عليه الغطاء وقبله وتركه ولم يقدر أن يوقظه من نومه خوفا عليه من شدة البرد ، خرج من غرفته وأغلق الباب وراءه وذهب إلى الحمام ليتوضأ ويصلى ركعتين ليشكر الله علي عودته سالما من الحرب.

عندما عادت صفاء بالطعام وجدته قد نام نوما عميقا وقالت لنفسها أن محمد يحتاج للنوم أكثر من الطعام فرجعت إلي المطبخ لتضع به الطعام وعادت إلي الغرفه ونامت بجوار زوجها .

بعد طلوع الفجر ذهبت وأبلغت أمه التي تقيم معه في نفس المنزل في الغرفه التي بالدور الأول ودقت عليها الباب ، بعد أن سمحت لها بالدخول وقفت علي الباب وفي عينيها بسمة .

نظرت لها أم محمد وقالت لها مابك ؟! وما الأمر الذي يضحكك ؟!

فقالت لها : أن محمدا قد عاد من الحرب .

ففرحت والدته كثيرا لعودة ابنها من الحرب وقالت سوف أذبح بقرة وأعطيها للفقراء لأشكر الله علي عودة إبني سالما من الحرب

فقالت لها صفاء : ياأمي سوف أذهب لأحضر الإفطار وأوقظه من النوم ، وعندما دخلت عليه الغرفه وجدته قد أفاق من نومه وجلس علي سجادة الصلاة ، فجلست بجواره .

فقال لها محمد : هل أيقظت أمي من النوم وأبلغتها بوصولى قالت صفاء : نعم

قال محمد : سوف أذهب لأراها وأسلم عليها .

قالت له : أريد أن أتحدث معك .

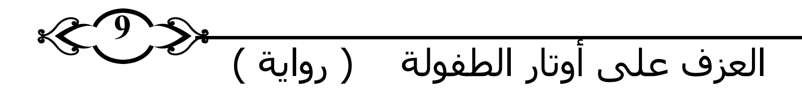
قال محمد : وهو يخرج من الغرفه مسرعا سوف أذهب دقائق ثم أعود إليك ، و ذهب إلي غرفة أمه ودخل عليها دون استئذان ، فوجدها تقيم علي سجادة الصلاة تصلى فجلس أمامها يراقبها ويتذكر كيف كانت ، ويقول لنفسه إنها أصبحت ضعيفة وهزيلة بعد أن كانت قوية و كانت أمه قمحية اللون وشعرها الأسود أصبح

أبيضا ووجهها بعد نضارته أصبح ذابلا ومجهدا من المرض ، وعندما تقوم من السجود وجد ظهرها منحنى بعد أن كانت مشدودة العود ، كانت متوسطة الطول وجسدها الممتلىء أصبح نحيفا ، لاحظ كل هذه التغيرات التي طرقت علي أمه في الفتره التي كان بها في الحرب ، كانت ترتدي ثوبا لونه أسود وبه نقوش بيضاء وتضع علي رأسها شالا من القطيفه أسود اللون ، وعيناها يتساقط منها الدموع وهي تتضرع بالشكر لله علي عودة ابنها الصغير ، فكان محمد أصغر أبنائها عمرا ولكنه كان أكبرهم حكمة ، وبعد أن ختمت صلاتها فردت ذراعيها وهى تبكى وتقول له تعال ياصغيري في أحضان أمك حتي أروي عطش قلبى من لهفته عليك .

أسرع محمد واندفع في أحضان أمه وظلا يبكيان هما الإثنين ، وبعد أن قام من جوار أمه ذهب إلي غرفته ليجلس مع زوجته ، وبعد جلوسه علي سريره جلست بجواره لتعرف منه أخباره وتحكي له كل أخبار المنزل في الفتره التى غاب فيها وابتعد عن المنزل ، وبعد مرور ساعه سمع محمد ضجيج في الشارع ، فقام ونظر من الشرفه فوجد صديقه الشيخ حسن ومعه جمع من رجال القرية والأصدقاء والأقارب والمعارف قد جاءوا جميعا بعد علمهم بوصوله من الحرب ليسلموا عليه ويطمئنوا علي حاله .

نزل محمد من الطابق الثانى إلى الطابق الأول وفتح لهم الباب الخلفى الذى يطل على المضيفه التى توجد بالحديقه .

بعد رحيلهم ذهب ووقف أمام المنزل الذى يطل علي فرع من نهر النيل وتوجد أمام المنزل شجرة عملاقة من أشجار الجميز وفي الجهة الأخرى علي اليسار توجد أشجار النخيل فنظر إلي المنزل ونظر إلي الحديقه التي كانت علي مساحه ألف متر والمنزل



كانت مساحته أربعمائة متر مبني من الطوب الحجري وله سقف من الألواح الخشبية ومصمم علي أشكال المنازل القديمة ويتكون من طابقين الطابق الأول به حظيرة للمواشي ويوجد لها باب يفتح علي شارع جانبي وعدد من الغرف والمطبخ وغرفة والدته وباقي الغرف يوجد بها خزين المنزل وبعض من الغرف المغلقة ، وفي الطابق العلوى يوجد غرف النوم ، وعدد من النوافذ المصنعة علي طراز الأرابيسك ، وبه تراث مزخرف بأخشاب ونقوش الأرابيسك ، فوجد الحديقه مهملة لا أحد يراعي أشجارها ولا أحد يقوم علي نظافتها والأرض قاحلة وبها شقوق واسعة من كثرة جفافها ، فالحديقة أصبحت مثل الغابة الموحشة ، أراد أن يقوم بتقليم الأشجار وتنظيف الأرض فوجد الجو شديد البرودة ونظر إلى السماء فوجد السحب كثيفة وتتسارع وراء بعضها كأمواج البحر ، فقال لنفسه إن السماء سوف تمطر ، سأذهب إلى داخل المنزل .

دخل إلي منزله وصعد إلى غرفته ، وبعد مرور ثوانى وجد الأمطار تنهمر من السماء وكأنها تحتفل بقدومه هي الأخري ، فسقوط الأمطار أشبع الأرض وروي ظمأها بعد عطش ظل شهورا وأيام .

وبعد مرور أيام في يوم قارص البرودة شديد العاصفة والبرق والرعد والأمطار تنهمر كالسيول علي بلدة صغيرة يوجد بها فرع من نهر النيل يعطي لها بهجة وجمال وروح وحياة .

يقف محمد في شرفة منزله في الدور الثاني بالمنزل ويري كيف المياه تتسارع وتلاحق بعضها البعض من شدة الهواء والعواصف ، ويداعب الهواء أوراق الأشجار وغصونها ، والأمطار تتساقط علي مياه النهر ، وإذا به يشرد طويلاً ويداعب التفكير عقله

ويتمني أن يرزقه الله بطفلة جميلة تكون له أختاً وصديقة وإبنة لإنه كان مفتقدا أن يكون له أخت ، كان يشعر بنقص كبير لحرمانه الأخت وحنانها والصديقة المخلصة الصدوقة ، في نفس الوقت الذي ينظر بعينيه إلي السماء ويمد يده إلي الله متضرعا بالدعاء ، إذا به يسمع صراخ زوجته وهي تنادي عليه وتستغيث به من شدة الألم الذي يمزق أحشائها ، وتنادي بأعلى صوت وهي تتمزق من شدة الألم قائلة : أنقذني يامحمد .

يأتي محمد مهرولا ، قام بفتح باب الغرفة ونظر إليها فوجدها متكئة علي ركبتيها .

تقول له : أنقذنى يامحمد إني علي وشك الوضع، وتصرخ بأعلى صوتها .

وقالت : إذهب واستدع والدتك .

فذهب إلى غرفة والدته ونادى بصوت منخفض مرتعش فلم تسمع الأم صوت إبنها فدق الباب فسمعت الأم .

فقالت : من بالباب .

قال محمد : افتحي يا أمي ، صفاء على وشك الوضع الليلة .

قامت الأم مسرعة وذهبت إلي باب الغرفه وفتحته وخرجت وهي تدعى الله أن تقوم صفاء بالسلامة ، وتضع علي خير ، ويرزق ابنها بما يتمنى كي يفرح قلبه .

دخلت أمه الغرفه على صفاء وهي تقرأ سور قصيرة من القرآن ، أمسكت بيد صفاء هي وابنها ونهضا بها ووضعاها على السرير ، جلست الأم بجوار زوجة ابنها لتخفف عنها وتمسح العرق الذى يتصبب على وجهها وكأنه ينابيع من الماء .

قالت الأم : اذهب يامحمد واستدع الطبيب .

فذهب محمد واستدعي الطبيب ، عندما وصل الطبيب دخل الغرفه التي توجد بها صفاء وأغلق الباب خلفه وظل محمد واقفا خلف الباب وهو يبكى من شدة القلق الذي سيطر عليه وعلي جوارحه ، وبعد دقائق سمع صوت صراخ طفل كأنه يسمع تغريد الكروان ، شعر بقلبه أن الله رزقه بطفلة ولكنه خاف أن تدخل الفرحة قلبه ، فصمد قليلا وهو فى مكانه حتى خرج له الطبيب وبين يديه فرحة كبيرة ، فرحة ظل ينتظرها محمد من يوم زواجه ، فرحة عمره وسعادته ، فقد رزق بالطفلة التي كان يتمناها ، طفلة جميلة مثل الملاك ، فحمل الطفلة ودخل على زوجته وهو مبتسم وسعيد وكأنها هى التى رزقته بفرحة عمره ، ونسى أن الله هو الذي رزقه بها فقال لها ألا تعلمين ياحبيبتى بماذا كنت أتضرع إلى الله وأطلب منه .

قالت له صفاء والبسمة على شفتيها والضحكة تتراقص علي وجهها بالرغم من كل الألم الذى بداخلها وهى تعلم ماذا كان يتمنى ولكنها أرادت سماعه من فمه لأن ذلك يزيدها فرحا على فرحتها لأنها هى التى أنجبت له هذه الطفلة .

قال محمد : وهو يضحك وينظر في عينيها وأنامله تداعب خصلات شعرها الأسود المبلل من تساقط العرق الذي كان علي



وجهها وشعرها أثناء الوضع ، كنت أدعو الله أن يعطينى هذه البنت ، ولم أعلم أن أبواب السماء كانت مفتوحة فيتقبل الله دعائى بهذه السرعة ويأتى لي بفرحة جديدة بعد أن أخذ مني فرحتي الأولى .

فابتسمت الزوجة وقالت : أدع الله أن يحفظها لنا ويديمها في حياتنا ، كفانا من الدنيا أحزانا ، لقد حزنت على ما أخذه الله منا . ثم سألته ماذا نسميها ؟

قال محمد : منى .

قالت صفاء : هذا إسم أختها المتوفية .

قال محمد : نعم سوف أسميها نفس الإسم ، لأن منى حبيبتى لم تمت بل عادت من جديد ، فأنا لم أستخرج لها شهادة وفاة ولن أستخرج شهادة ميلاد لمنى الثانية ، فهى سوف تعيش بإسم وعمر أختها - وكانت هذه اول نغمة يعزفها الأب على أوتار طفولة منى -

عاشت منى بإسم أختها وعمرها التى كانت تكبرها بسنوات وظلت منى تكبر يوم بعد يوم فى حضن أبيها فهى بعد ولادتها بأيام مرضت مرضا شديدا فأصبح لون وجهها أزرق ولم تستطع التنفس ، فأخذها محمد وذهب بها إلي الطبيب فقال له أنها ولدت بعيب خلقى وهو ثقب بالقلب ، فحزن الأب حزنا شديدا وكأن هذا الثقب خنجرا غرس بقلبه وانقبض قلبه للمرة الثانية ، فوقف أمام الطبيب وقال له هل تتوفى مثل أختها ؟

فقال الطبيب : الأعمار بيد الله ، سوف أكتب لك دواء ، أريدك أن تعطيها منه ، لعل الله يضع رحمته على قلبك وقلبها وأدع الله أن يشفيها .

قال محمد : وهو حزين مكسور ، أنها لم تتناول من حليب أمها

قال الطبيب : سوف أكتب لك على حليب صناعى ، وأدع الله أن تتقبله ويتقبله جسدها .

خرج محمد من عند الطبيب والدنيا تدور برأسه ، كأن الدنيا تأرجحه على أرجوحة الحياة فتصعد به عاليا وتهبط به فجأة ، ومضي وهو يضم منى إلى صدره وكأنه يخاف أن يخطفها الموت منه هى الأخرى ، وأخذها وذهب بها إلى المنزل .

سألته صفاء : مابها ؟ ماذا قال لك الطبيب ؟

فنظر لها محمد وهو يبكى وقال إن الله وضعنى في اختبار آخر .

فقالت صفاء : ماذا قال الطبيب ؟

فنظر لها وقال : عندها ثقب في القلب ، سوف تموت منى و تتركنى هى الأخري ، وأخذها وذهب بها إلي غرفته ووضعها على السرير وجلس بجوارها يبكى ولكن الله وضع في قلبه الصبر والأمل من جديد ، قال لنفسه سوف أعطيها الدواء وإن شاء الله لن يخذلنى هذه المرة وبالفعل أعطاها الدواء فشربته منى بعد أن كانت قد أغلق فمها ولا تتناول أي شئ من أمها ، فالطفل يشعر بحنان الأم وهو فى بطنها وبجوار قلبها ، فلماذا إذن مني لم تشعر بحنان أمها ورفضت

أن تشرب من حليبها بعد ولادتها ؟ ولماذا قبلت أن تشرب الدواء من يد أبيها ؟ فهل هي تشعر بحب أبيها عن حب أمها ؟ كيف فهي لا تعلم ولا تشعر أن هذا الرجل هو أبوها !! فالطبيعي الطفل لايعرف الأب إلا إذا بعد شهور من ولادته ثم يفيق للحياة فيعرف هذا وذاك ، لكن مني كانت متشبثه بأبيها من يوم ولادتها .

تركت الأم ابنتها لأبيها يقوم علي رعايتها وتربيتها وبعد مرور أشهر علي مرض منى وجد محمد أن منى تكبر وتبتسم وتضحك وتزحف على ركبتيها الصغيرتين ، بعد أن أتمت مني عامها الأول ، أخذها الأب بين أحضانه وذهب بها إلى ضفاف النهر الذي يوجد أمام المنزل فقد خصص له مكانا على ضفاف النهر يذهب إليه بعد عودته من العمل هو ومنى وبعد وصولهم إلى هذا المكان ، وضعها بجواره علي ضفة النهر وجلس وشرد بعض الوقت ، فنظر بجانبه فلم يجد مني ظن أنها سقطت في النهر ، فانقبض قلبه واصفرّ وجهه ، وتناثر العرق علي وجهه وقام مفزوعا من مكانه ، نظر بداخل النهر فلم يجد أي تغيير في الماء فقد كان هادئا ، فنظر يمينا ويسارا فلم يجد شيئا فخاف أكثر ، ظل قلبه ينبض نبضات سريعة من الخوف علي ابنته ، لكنه كان بداخله شئ يطمئنه ويقول له إنها بخير ، ورجع إلى الخلف فوجد منى تستند علي شجرة التوت التى كانت على ضفة النهر وتقف تحتها فذهب لها مهرولا والضحكات تتراقص على شفاهه تختلط الضحكات بالدموع التى تتساقط من عينيه مثل أوراق الشجر في فصل الخريف ، فكانت أول خطوات تخطوها منى على الأرض ، حضنها بين ذراعيه وأخذ يدور ويلف بها وكأن له جناحين يحلق بهما في السماء ، أخذها وذهب بها إلى جدتها ليفرحها ويقول لها مني أصبحت تمشى فابتسمت الجدة :

وقالت أمه : أنا أشعر يابنى أن منى سوف تشفى من مرضها قريبا .

فقال محمد : إن شاء الله يا أمى سوف أذهب بها غدا إلى الطبيب ليفحصها ونرى ماذا يقول ، وفي مساء الغد أخذ منى وجدتها إلى الطبيب فقام الطبيب بفحص منى .

قال الطبيب : أريد إعداد رسم قلب ، فذهب محمد وأعد رسم قلب لمني وذهب به إلى الطبيب .

قال الطبيب : الحمد لله يامحمد قلب منى بدأ يتحسن ويشفى وبدأ الجسد فى بناء الثقب الذي بالقلب ، وسوف يتم غلق الثقب قريبا .

بالفعل بعد فترة وجيزة تم شفاء مني تماما ، ومرعام وراء عام وتكبر مني أمام الأب ، ولكن مني لا تعلم كم عمرها الحقيقى ولا العام الذى ولدت به ، وعاشت منى على هذا الأساس صغيرة الجسد كبيرة السن .

جاء الشيخ حسن صديق محمد وهو يعمل في جامعة الأزهر يرتدي الجبه والقفطان والعمامه الحمراء ، يتصف الشيخ حسن ببشاشة الوجه ، نقاء القلب ، لاتفارق البسمه شفاهه والضحكة مرسومة علي وجهه جاء يسأل عن صديقه محمد ، فوجد مني تلعب مع الكلب وتعلمه وتدربه علي أشياء كثيرة ، كلبها الأبيض إسمه رعد ، وهو يلعب معها في الحديقة فهو صديق أليف وصاحب وفي ، وهي تعشقه كأنه إنسان مثلها ، كانت تحدثه ويفهم حديثها وتأمره فيطيع أمرها ، فهو ونيسها الوحيد في غياب والدها

ظل الشيخ حسن واقفا خلف بوابة المنزل المصنوعة من ألواح الخشب ملونة بلون أبيض ، ويحتضنها أشجار الفل والياسمين البوابة مكشوفة ليس لها ستار فكل من بالخارج يري من في الحديقه ومن بالداخل يري من خارج المنزل ، كانت تطل علي النهر.

وقف الشيخ وهو رافض الدخول حتي لاينجسه الكلب ، لكنه في نفس الوقت كان يقف مستمتعا بمشاهدة مني وهي تلعب مع الكلب ، وبعد أن طال به الوقوف نادي علي مني كي تقيد الكلب من أجل أن يدخل لصديقه ، فأمرت مني الكلب ألا يتحرك ، وبالفعل لم يتحرك الكلب من مكانه ، وذهبت مني مهرولة إلي البوابة ، فتحت للشيخ حسن وأخذته دون المساس به حتى لاتنجسه من لعاب الكلب الذي كان يقبل يديها إلى داخل المنزل لصديقه وخرجت مسرعة لصديقها هي ورفيق دربها حتي تحرره من أمره ، ذهبت له وقبلته من بين عينيه وأخذته وقيدته في مكانه ووضعت له الطعام والشراب وذهبت مسرعه إلي الحمام كي تتطهر وتتطيب وتلبس ملابسها النظيفة حتي لايفوتها الجلوس مع أبيها والشيخ حسن .

دخلت مني بعد ذلك إلى فراندة المنزل التي تطل علي الحديقة ، حيث يجلس والدها والشيخ حسن .

جلست بجوار والدها تستمع لهم وتتعلم من حواراتهم ، عندما رآها الشيخ حسن وهي جالسه تتحدث معهم وكأنها مثل الكروان الذي يغرد علي غصن شجرة ، شكر بحديثها الطفولي المؤثر .

قال الشيخ حسن : أريد كوبا من الماء ياصغيرتي ، فذهبت مني لتأتي بالماء .

استغل الشيخ حسن فترة خروجها وقال لمحمد ابنتك عندها ذكاء غير عادي حاول تستغله في دراستها ولا تهملها وتجعلها تهمل دراستها وعادت مني بالماء فشرب الشيخ حسن وكاد أن يذهب ، فإذا بإبنه أشرف قد أتى ليناديه عليه ، خرجت مني وفتحت له البوابة ، فسألها هل والدي عندكم ؟!

قالت منى : نعم . تفضل وأدخلته إلي المنزل حيث أبيها والشيخ حسن ، وذهبت هي بعد ذلك .

قال الشيخ حسن لإبنه مالذي أتي بك يابني ؟!

قال ابنه أشرف : أمي أرسلتني كي أناديك لأن عندنا ضيوف .

خرج الشيخ حسن ممسكا بيد أشرف وسلم علي صديقه وذهبا وهما يسيران في الطريق .

قال أشرف لأبيه : يا أبي عندما أتم إكمال دراستي سوف أتزوج من مني ابنة عمي محمد ، يقول هذا الكلام بنبرة منخفضة وكأنه يشعر أن أبيه سوف يصفعه علي وجهه .

قال له الاب : نعم يابني أنا أيضا أتمني أن تتزوجها ، فأنا أحبها مثل أختك كريمه ، ففرح أشرف بحديث أبيه ، وذهب يحلم بمني مثل أي شاب في سن المراهقة .

ويتصف أشرف بلونه الخمري وشعره الكستنائى وعينيه العسليتين وطول قامته ولكنه كان نحيفا لأنه يمارس الرياضة من صغره فهو الآن في عمر يناهز السابعة عشرة عام يدرس بالثانوية العامة وهو من الفائقين ، فقد أصبح عنده حلمين وهدفين يريد تحقيقهما .

(الأول) أن ينجح بتفوق ليدخل كلية الهندسة ، و (الثاني) أن يتزوج مني ، وبعد وصوله إلى المنزل مع أبيه ذهب إلي غرفته وأغلق الباب خلفه وجلس إلى مكتبه ليذاكر ، ففتح الكتاب وهو شارد حيران وظل يحلم بمني وبجمالها وعينيها الساحرتين وشفتيها اللتين مثل الكريز ووجهها المضئ مثل القمر وشرد بخياله مع مني ونسي أنه عنده إمتحان في الغد ، لكنه أفاق من شروده بعد أن سمع دقات باب غرفته ، ففزع من علي كرسيه وذهب إلي الباب وفتحه ، فإذا به يجد أخته كريمه التي تشبهه في الشكل لأنها كانت أخته التوأم ، تأتي له بكوب من العصير ، دخلت كريمه إلى غرفة أخيها ووضعت العصير علي المكتب ، ظلت واقفه بعض الوقت .

سألت كريمة : أشرف هل تريد شيئا أخر ؟

قال أشرف : أشكرك . لكني أريد أن أتحدث معك قليلا .

جلسة كريمه بجوار المكتب علي المقعد المجاور لأخيها ، فوجدته شارد العقل عيونه زائغه تتلصص يسارا ويمينا .

قالت كريمة : مابك ياأخي قال لها إني أحب ، فضحكت ضحكة عالية وقالت له هل أنت كبرت لهذا الحد وأصبحت شابا وأصبح قلبك ينبض ويخفق بالعشق .

قال لها : لن أتحدث معك ثانيا وغضب منها .

عندما رأته وهو حزين بعد كلامها له قالت له لاتغضب وقل لي من البنت الذي خفق لها قلبك .

قال أشرف : مني بنت عمك محمد فابتسمت .

قالت كريمة : إنها صغيرة ومازالت طفلة .

قال أشرف : أنا قلت لأبي ، وأبي قال إنه سوف يزوجني بها بعد إتمام دراستي .

قالت كريمة : إذن ضع هذا الحلم جانبا وركز أولا في مستقبلك حتي يوافق أبيها أن يزوجك إياها فاطمأن قلبه عندما سمع كلام أخته وأبيه ، وأصبحت مني هي الحافز الذي يحفز أشرف علي المذاكره حتي يتفوق ويحقق حلمه ويتزوجها ، وجاءت أيام إمتحانات الثانوية العامة وبعدها جاءت النتيجة ، ذهب أشرف إلي المدرسة بعد أن سمع إسمه في الإذاعة أنه نجح بتفوق ، ليأتي بالدرجات والمجموع حتي يقدم في تنسيق وكتب في الأوراق أول رغبة له كلية الهندسة ، بالفعل جاء له جواب أنه تم قبوله من قبل كلية الهندسة ، وبعدها ذهب إلي والده ، فوجده في غرفة المكتب فدق الباب فأذن له والده بالدخول ، فدخل وأغلق الباب خلفه وجلس بجوار والده وهو يضع وجهه في الأرض

فقال له والده : هل تريد شيئا يابني ؟ سكت أشرف قليلا .

قال أشرف : نعم يا أبي أريد منك أن تنفذ وعدك لي وتذهب لعمي محمد وتطلب منه يد مني .

ابتسم الشيخ حسن وقال : لا تقلق أنا أشرت لعمك محمد إني سوف أزوجك مني ، فمني يابني مازالت صغيرة وعمك محمد لن يوافق فهي مازالت في الثانية عشرة من عمرها ، وأنت تعلم ماذا تعني مني لعمك محمد فهي كل حياته ، وأنا لم أعرف كيف أقول له أني سوف آخذ مني منه ، إصبر يابني وإلتفت لكليتك وأترك هذا الموضوع علي الله هو الذي يدبره بمشيئته .

ذهب أشرف وهو حزين وقلبه يتمزق من الخوف ، شعر أشرف بقلبه يخفق خفقات مؤلمه وكأن قلبه يخبره أنه لن يتزوج مني ، لكنه لم يفقد الأمل ، فهو من وقت لآخر يذهب إلى بيت مني ويتلصص منها نظرات وهي في الحديقه تلاعب كلبها ، ويقف خلف شجرة الجميز حتي لا ينظر إليه أحد ، ويمر يوم وراء يوم وأشرف قلبه يتحول إلى جمرة من النار المشتعلة بعشق مني فهي حب طفولته وحبه الأول .

بعد مرور عام أصبحت مني في الثالثة عشرة من عمرها فجاء موعد العزف الثالث علي أوتار طفولتها .

جاء يوم العزف الثالث علي أوتار طفولتها وسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ ، فهذا اليوم أيضا مثل يوم ولادتها ، فهو يحمل معه البرد الشديد القارص والعواصف والرعد والأمطار الشديدة ، كأن الدنيا تقول لها تماسكي أنا معك بكل جوارحي وقتما تتناثر الأحلام وتنفذ ولا يتبقي منها غيرالأوهام والألم والإشتياق لحنين زمن لن يعود .

في صباح هذا اليوم استيقظت منى من نومها العميق كما اعتادت أن تستيقظ في مثل هذا الوقت من كل يوم ، وفي عينيها

بريق يضئ المكان ، وسحر غريب يسحر كل من يري عينيها ، كانت عيناها واسعتين بها جميع الألوان فلها بريق مثل عيون القطط ، وابتسامتها مرسومة علي الشفاه التي تشبه الكريز ، وضحكاتها تضئ وجهها الجميل المدور مثل وجه القمر ، وقوامها الجميل الذي ظل ينقلب علي مخدعها يمينا ويسار وهي مسترخية ما بين اليقظة والنوم ، حتي جاءها من يؤرق يومها جاء أخوها الأصغر .

قال أخوها الأصغر ياسين : والدك يريد أن يتحدث معكِ .

قامت مسرعة من علي السرير ذاهبة إلي غرفة والدها وفي طريقها اليه قابلت أخيها فسألته ماذا يريد أبي ياأخي ؟

قال أخوها ياسين : لاأعلم إذهبي واعلمي أنت منه .

ذهبت منى إلى أبيها وهي تقدم قدم وتؤخر أخري برغم حبها الشديد لوالدها إلا أنها كانت ترتعب وتخاف من نظرة عينيه ، ولكنها ذهبت إليه ودقت الباب بيد مرتجفة فأذن لها بالدخول ، فدخلت الغرفة ، وجدته متكئا علي السرير بين النوم والجلوس ، بسط لها فراشه وأجلسها بجواره ، عندما جلست مني بجواره ونظرت في عينيه فوجدته يتهرب بعينيه منها ، فتأكدت أن بداخل والدها شيئ غريب هي لا تعرفه ، لكن لماذا ترك هذا الخاطر داخلها فهي كانت معتادة علي أن والدها إذا أراد أن يخبرها بشئ يروي لها قصة عن الموضوع الذي يريد أن يخبرها به ، ولكنه في هذا اليوم لم يخبرها بشئ ، غير أنه قبل جبينها ويدها ، فوجدت في عينيه دمعة حائرة بين جفونه لاترغب أن تتساقط أمامها فهي لم تر في عينيه من قبل هذه الدمعه .

سألت منى : ماذا بك يا أبي ؟! ما هو الشئ الذي بداخلك يسبب لك كل هذا الوجع ؟

قال الأب : لا شئ ياصغيرتي .

قالت منى : كيف أنا أعرفك جيدا ؟ ، أنت تعلم يا أبي أنني أحفظ طباعك مثلما أنت تحفظ طباعي .

قال الأب : لا شئ ياحبيبتي ، لكن قومي واستعدي سوف نخرج أنا وأنت .

سألته منى : إلى أين نذهب ياأبي ؟! فالجو بارد والأمطار تنهمر كأنها سيول تسيل علي الأرض .

قال الأب : سوف نخرج ونقضي اليوم معا علي شاطئ النهر ، ففرحت مني لأنها تحب الخروج في الأمطار وأن يتساقط عليها حبات المطر وكأنه يداعب جسدها ، ولكن فرحتها كانت مكسورة ويوجد بداخلها ألف سؤال وسؤال ، لماذا توجد هذه الدمعة في عين والدها ؟ ولماذا إصراره علي الخروج معها هذا اليوم ؟ وهو يعلم جيدا أنها لا ترغب بالخروج من المنزل ولا تحب أن يراها أحد ، ولكنها مع كل هذه الأسئلة التي لم تعلم لها إجابة .

قالت منى : سوف أذهب لأرتدي ملابسي ، لكنها تريد أن تسأله قبل أن تخرج من الغرفة مع شدة سعادتها أنها سوف تذهب معه وتستمتع بأن يتبلل جسدها بماء المطر ، لماذا نحن ذاهبين إلي النهر في مثل هذا اليوم ؟ إنه يوم شديد البرودة ومليء بالعواصف والرعد والأمطار ، مني لم يشغل بالها غير الدمعه التي رأتها في

عين أبيها ، فهي لاتعرف أن هذا اليوم يشبه يوم ولادتها ، ولكنها لم تكترث لهذا كله ، بل يشغل تفكيرها وقلبها وجود الدمعة التي رأتها في عين ابيها ، وخرجت منى من الغرفة ولم تستطع السؤال بل ظلت تسأل نفسها عن سبب دموع أبيها ، وذهبت إلى غرفتها متجهة إلي الخزانة لتخرج ثوبا منها ترتديه وهي ذاهبة مع أبيها ، ولكنها فتحت الخزانه وأغلقتها عدة مرات لأنها شاردة ، تفكر وتقول ماذا بك يا أبي حتي تدمع عينك ؟! ولكن أبوها ناداها بصوت عال هيا يا حبيبتي .

قالت منى : ثواني يا أبي أنا سوف أستعد ، تذكرت منى أنها كانت تفتح الخزانة لتخرج منها ثوبا ترتديه ، أسرعت وأخرجت الثوب وارتدت جاكيت لونه أحمر وبه نقوش سوداء وبنطلون أسود وشعرها متدلي علي كتفيها طويل وناعم ولونه بني ، خرجت منى في هذا المظهر أمام والدها وقالت له هيا بنا ، لنذهب يا أبي ، فرآها الأب وكأنه يري وجه القمر وهي في هذه الملابس بالرغم من جمالها الشديد إلا أن هذه الثياب أضافت جمالا إلي جمالها ، فوجدت والدها يبكي وأخذها بين ذراعيه واحتضنها ، وذهب معها ضفة النهر في نفس المكان الذي كانوا معتادين علي الجلوس فيه هما الإثنين .

نظرت منى إلى النهر والمياه التي تداعبها الرياح فهي تحركها وكأنها لوحة مرسوم بها طيات وتعرجات فوق سطح النهر وهي تتسابق وراء بعضها البعض ، تنظر منى إلى الأشجار التي توجد على ضفاف النهر وهي تتراقص يسارا ويمينا ، والطيور التي تغرد وتملأ المكان بأصواتها وتغريدها وكأنها تنعي خبرمنى ، فتارة تنظر لوالدها وتارة تنظر حولها يمينا ويسارا ، وقلبها يرتجف من

الخوف فصمت والدها الشديد يزيد عندها الشكوك ويجعلها تسأل نفسها ماذا يوجد بداخله ؟ ولكن الحيرة والدهشة لم تبتعد عنها لحظة واحدة ، وظلت تسأل نفسها مرارا وتكرارا ودهشتها تزداد من أمر والدها ، لماذا أراد أن يذهب معها إلي هذا المكان في هذا الوقت ؟ هل هو يريد أن يسمعها صمته ؟

ظلت مني تسأل نفسها هل يوجد شئ خطير لهذا القدر؟ فقالت سوف أساله مايوجد بداخله لعله يخبرني ، ولكنها لم تقدر علي الكلام ، فأصبحت في حيرة من أمرها لاتستطيع الكلام ولا تستطيع الصمت .

كانت منى تشعر أن روح أبيها تتناثر من جسده وكأنها حبات من رمال الصحراء القاحلة ، ولكنها لا تعلم سبب كل هذا الألم الذي يسكن صدر أبيها ، فالصمت الذي يغطي المكان لم يكن صمتا بل كان بركانا يتأجج بداخل جسد هذا الأب الذي كان يبحث عن طريق ليخبر ابنته حقيقة الأمر ، لأنه يعلم أن ابنته تفهمه من نظرة العين ، ويعلم أنه صعب عليه إخبارها والحديث معها في هذا الموضوع مباشرة أو إبلاغها بقرار مثل الذي يريد إبلاغها به ، فكان علي علم بطبيعة إبنته جيدا ويعلم كيف تفكر ، فهو الذي رباها علي العند وتصلب الرأي ، وهو الذي بني شخصيتها ، وعندما كان يبحث عن مدخل لابنته تذكر كيف كان يتعامل معها عندما يريد أن تنفذ أوامره ، تذكر أنه إذا أراد منها شيئا روي لها قصه تحمل مضمون ما يريدها أن تعرفه ، لأنها لا تحب أحد أن يأمرها بشئ ، ووالدها متأكد كل التأكيد أنها سوف تفهم كلامه وستنفذه بالحرف الواحد ، وعلي غير العادة فضل أن يسألها بعض الأسئلة .

فقال الأب : هل أسألك ياحبيبتي بعض الأسئلة وتجيبنني عليها .

قالت منى : نعم تفضل يأبي سأجيبك بكل صدق وبكل صراحة ، إسال فأنا لم أعد قادرة علي تحمل الصمت القاتل هذا .

ابتسم الأب بسمة خفيفة علي كلام ابنته ، وقال لها سوف أطلب منك طلبا هل تنفذيه بدون تردد.

فقالت منى : نعم

سكت الأب لحظات وطلب من ابنته أن تلقي بنفسها في جوف هذا النهر ، فألقت مني نفسها دون تردد ولا تفكير للحظه واحده ، فهي تعلم جيدا أن أبيها يعلم أنها تجيد السباحه جيدا ، ولكنها ظنت أن أبيها يختبرها ، لكن أي إختبار هذا الذي يجعل إبنته تلقي بنفسها في الماء في يوم كهذا شديد البروده ، ولكن ما غرض الأب من هذا الطلب؟! هل أراد أن يتأكد من أن ابنته سوف تنفذ أوامره دون تردد ؟ لأنه لايعهد هذا منها ، وهل طلب منها هذا الطلب لأنه يريد أن يغرقها ؟ فكيف يريد غرقها وهي لم تقترف ذنبا في حياتها ؟! هي مازالت طفلة بريئة لاتعلم عن الذنوب شيئا ، وهو الذي علمها السباحة ويعلم أن ابنته سوف تنقذ نفسها من الغرق ولكن يبقي السؤال لماذا طلب هذا الطلب من ابنته هل يريد أن يداعبها ؟ الظروف لا تسمح بهذا وكل هذه الأسئلة بدون أجوبة ، رأت منى أبيها يضحك بصوت عالي عندما خرجت من النهر فقد علم إجابة منى علي سؤاله الأول وتأكد من طاعتها العمياء له دون تفكير .

قالت منى : هل تضحك يا أبي ؟! لو أعلم ان هذا سوف يضحكك لألقيت بنفسي مرات ومرات حتي أري هذه الضحكة علي وجهك .

قال الأب : أنا أعلم انك سوف تنقذين نفسك فأنا الذي علمتك السباحة، ولكن ملابسك مبلله وسوف تموتين من البرد اخلعيها عنك الجو بارد .

فقالت منى : لا لن أخلع ملابسي حتي لو مت من البرد فأنا أفضل الموت علي أن يرى أحد جسدي ، وكانت هذه أجابة السؤال الثاني ، فقد أرادت منى أن تموت من البرد ولا تتخلى عن مبادئها وأخلاقها التي رباها عليها أبوها ، ففرح بهذا الحديث وقام بخلع الجاكيت لترتديه مني .

وجاء دور السؤال الثالث فكان أصعب الأسئلة أو بالأصح طلب لايمكن أن يطلبه أب من ابنته التي لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها ، التزم الصمت قليلا ودفن آلامه في ثنايا قلبه وبين ضلوع أيامه وأدخل يده داخل جيبه فظننت مني أنه يخرج منديله لينشف وجهه من ماء المطر ، لكنه أخرج من جيبه سكين ، وحين نظرت إليها منى صعقت وشحب لونها وصرخت بصوت عالي لماذا لماذا لماذا يأبي هذا السكين ؟ أي رعب هذا الذي يمارسه الأب مع طفلة مرهفة الحس والمشاعر ؟.

أسرع الأب قائلا : إهدئى ياصغيرتي إهدئي لا تخافي لم أرغب في أذيتك .

قالت منى : أعلم يأبي أنك لن تؤذيني بها ، لكن لماذا تحمل هذا السكين ؟

قال الأب : وهو ينظر داخل عينيها الدامعتين ويشعر بقلبها الباكي أنا أريدك أن تغرزيها في قلبي ، فصعقت منى من هذا الحديث

، ظلت تصرخ كيف ولماذا أفعل هذا ؟ أنت قلبي وروحي يا أبي كيف تطلب مني هذا الطلب ؟، وهي تصرخ والخوف يأكل قلبها مثلما يأكل السبع فريسته ، وتسأل نفسها ماذا دهاك ياأبي أن تطلب مني أن أفعل هذا بك أنت ؟ ومع كل الألم الذي وضعه الأب بداخل ابنته لم يرق قلبه لها بل إزداد في قسوته عليها ، حتي رفع يده وصفعها علي خدها ، وكانت أول مرة يرفع يده عليها من يوم ولادتها .

قال الأب : بكل قسوة إفعلي ما أقوله لك .

قالت منى : لن أفعل ولو قطعتني قطعا صغيرة وألقيت بها للنسور والحدادي وأنا حية ، لن أكون سبب في أذيتك مهما بلغ الأمر ، لن أكون سببا في جرحك ولو جرح بسيط ، كيف أكون سببا في جرحك ؟ لا ياأبي ، لاااااااااااااا !! .

قالت منى بصوت عالي قطعت يدي قبل أن تكون سبب في أذيتك ، كانت هذه إجابة مني علي السؤال الثالث .

فعلم الأب وتأكد أن ابنته سوف تحافظ علي نفسها وكرامتها وشموخها حتي ولو كانت تتمزق وكل هذا الوجع الذي تسبب فيه لابنته لم يحرك ساكنا ، فكان كل مايريده هو أن يعلم مدي قدرتها علي تحمل الصعاب والألم ، لأنه كان يعلم جيدا أنه سوف يلقي بها في نار جهنم مثلما ألقاها في النهر ولا أحد سوف يمد يده لإنقاذها حتي هو ، والأمر الآخر أنها لم ترفض له طلب ولا تعصي كلامه حتي ولو كان هذا الأمر سوف يقضي عليها وعلي حياتها فهي عاشقة لأبيها ، لكن مازادها دهشة أنها لم تتعود علي هذه القسوة من أبيها ، فسألته لماذا كل هذه القسوة يا أبي ؟ هل أنا أخطأت في شئ ؟هل أنت غاضب مني إلى هذا الحد ؟ فذرفت الدموع من عينه .

قال الأب : لا ياصغيرتي ، أنا الذي أخطأت بحقك أنت دون أن أشعر، لكني لم أقدرعلي إصلاح هذا الخطأ .

قالت منى : لا يا أبي لاتقول هذا ، أنا كلي ملكك أنت ، أنا ابنتك وقطعة من قلبك ، كانت تقول هذا الكلام بقلب طفلة لاتعلم ماذا تخبىء لها هذه الأيام .

تأكد الأب أن منى لن ترفض له طلبا ، حتي لو كان سببا في ضياع عمرها وسرقة أحلامها منها ومن طفولتها .

لم يتردد الأب لحظة في أن يصدمها بكلامه الأخير ، فقال لها أنا أريد أن أبلغك بقرار أخذته ولم أقدر علي الرجوع فيه .

قالت منى : أنا أعلم يأبي أنك إذا قلت كلمة أو أقسمت بقسم لن ترجع فيه حتي لو كان علي حساب حياتك ، وحياتي أنا أيضا يأبي فحياتي لا تعني شيئا بدونك .

قال الأب : هذا ماحدث ياصغيرتي لقد أصدرت قسما وأريدك ياحبيبتي أن تعينيني علي تنفيذه ، يقول لها هذا الكلام وهو متأكد أنه حكم علي ابنته بالموت وهي علي قيد الحياه ، فقد تأثرت مني من حال أبيها وكانت تريد أن تخفف عنه مهما كلفها هذا الأمرمن تضحية وتري ضحكته ، حتي لو وصل بها الأمر لتلقي بنفسها مرة أخري فى النهر .

قالت منى : ماهو هذا القرار يا أبي ؟

قال الأب : بصوت حزين مكسور إنك سوف تتزوجين ياصغيرتي ، بعد عودتي من رحلة الحج سوف أتمم الزواج .

سمعت منى هذا الكلام وهي لا تصدق أنه يصدر من فم أبيها ، لكنها قالت باستغراب ودهشة ماذا قلت يا أبي ؟ أعد علي الحديث .

قال سوف تتزوجين من علاء ابن جيراننا، هو شاب محترم ، مستقبله معروف ، يعمل ضابط في الجيش .

قالت منى : هذا يعني أنني سأتركك يا أبي .

قال الأب : هذا ما قدره الله لك ولي وسوف نتقبله ونتقاسم أوجاعه وآلامه ، وعليك أن تنفذي كلامي دون نقاش .

منى : (في دهشة !) كيف يقول لها هذا الحديث ؟ وهو يعلم أن ابنته طفلة مدللة عنيدة لم يسبق لها الإبتعاد عنه ، فسكتت بعد هذا الحديث ولم تقدر علي أن تتفوه بكلمة واحدة من شدة الصدمة ، لكنها تتصارع مع نفسها وكتمت صوتها بداخلها وظلت تتسأءل هل هذا هو أبي ؟ هل هذا هو نفس الرجل الذي أعشقه ؟ ماهذه القسوة التي طرقت باب قلبه ؟ ولا تستطيع أن تسأل عن سبب هذا القرار .

الأب : أصيب بدهشة فلم يتعود من ابنته علي هذا الإستسلام ، فهو معتاد علي أنها تناقشه وتحاوره وتجادله ولاتنفذ كلام أحد حتي تقتنع به برغم صغر سنها فهو تعمد أن تكون شبيهته في كل شئ .

منى بعد أن قال لها هذا الكلام ظلت تبكي بقوة وبصوت عالي ، كأنها تستغيث بمن يلملم أشلاءها المتناثرة علي ِضفة النهر ، ودموعها المتساقطة علي وجنتيها ومخلوطة بقطرات المطر ،

وتنظر للسماء وتناجي ربها أن يلملم أشلاءها المتناثرة على ضفة النهر ، ولكنها لم تعلم أن الأشلاء التي بعثرت هي أشلاء أحلامها وآمالها وطموحها ، كم كانت تحلم أن يكون لها مكانة مرموقة في المجتمع ، وأن يكون لها هدف تسعي لتحقيقه ، وأنها سوف تقابل فارس أحلامها وأن يخفق قلبها بحبه ، كم كانت تحلم وتحلم بكل ماتحلم به طفلة بل فتاة في سن مابين الطفولة والمراهقة فهي لاتعلم كم عمرها ، هل هي طفلة في الثالثة عشرة ؟! أم هي فتاه في سن المراهقة ؟ فكل أحلامها تناثرت مع طفولتها ، وهي لاتعلم أن أبيها حكم عليها بالموت المؤكد ليس موت الجسد بل موت الروح والقلب والمشاعر وأحاسيسها التي لم تولد بعد ، ولكن يظل السؤال بداخل منى لماذا قرر أبي هذا الأمر ؟ ألم يفكر بي ولو للحظة واحدة قبل أن يتخذ هذا القرار المدمر لحياتي ، وظلت تسأل نفسها وتكلم نفسها ولكن كيف ولماذا ؟ وتقول لنفسها هل من أجل المال ؟ وترد علي حالها بلا ، فالزوج المنتظر ليس عنده مال مثل أبي ، وأعلم جيدا أن أبي لايهمه المال فهو لايغضب عندما أكل أخواته ماله وإرثه من أبيه .

قالوا له : نحن ربيناك به ولم يغضب .

قال : أن المال يذهب ويعود ، ولكن صلة الرحم إذا قطعت لن تعود ، إذن لماذا فعل بي هذا كله ؟ .

وتظل الأسئلة تشق صدر مني وتمزقها من الداخل ، وتقول هل أحب أبي الزوج المقبل ؟ وتجيب علي نفسها لا ، فهو لايحبهم لتطفل أمه علي حياتنا وخصوصيتنا ، إذن لماذا ؟! ظلت تسأل نفسها ولا تجد إجابه عن أسئلتها ، ولكنها من أين تجد الإجابة علي السؤال وهي صامته ولا ترغب بالحديث مع أحد في هذا الموضوع .

و فجأة سمعت أحدا يدق عليها باب غرفتها ، دخل الطارق دون أن تأذن له بالدخول فقد كانت أمها فاستغربت مني ! لأنها لم تشعر قط بأن لها أم ، فقد كانت بعيدة كل البعد عن حياة ابنتها وكأن دورها في حياة ابنتها قد تلخص في الحمل والإنجاب فقط ، ولكنها دون مقدمات جلست بجوار منى على السرير .

قالت الأم : أريد أن أتحدث معك في موضوع يهمك ، فاستغربت منى ! لكنها لم تنطق بكلمة فهي ليست معتادة علي الحديث مع أمها علي الإطلاق ، فإنها لم تشعر بوجودها في حياتها مثل كل أم مع ابنتها بل كان أبوها هو كل شئ لها ، هو أمها وأبوها وأخوها وصديقها ، كان كل شئ تعرفه طفلة في عمرها عن الجنس الأخر فقالت لها تكلمى يا أمى ماذا تريدين ؟

قالت الأم : لها في صوت منخفض وحزين أنا يا ابنتي لم أوافق أبيك علي ماقاله لك وأنا أرفض تماما كل هذا الكلام فاستغربت مني من كلام أمها ، ولكنها كانت مثل الغريق الذي يتعلق بقشة لتنجيه من الغرق ، ففرحت مني وابتسمت في وجه أمها .

فقالت الأم : أرفضي طلب أبيك يامنى وأنا سوف أساعدك فازدادت فرحة منى ، وظنت أن أمها رق قلبها لإبنتها ، وقالت لنفسها أنه آن الأوان أن يكون لي أم مثل كل الفتيات ، فهي إمرأة تشعر وتحس بإحساس كل إمرأة تقهر في طفولتها ، وتعلم كيف يكون حال كل أنثي تتزوج في مثل هذا العمر ، وكيف تكون حياتها بعد الزواج .

لكن هل كانت الأم تساعد منى لأنها ابنتها وتحبها وتخاف علي حياتها ومستقبلها أم كان لغرض في نفس يعقوب ؟ هذا

ماطرق بخاطر منى في هذا الوقت ، لكنها استبعدت هذا الخاطر من تفكيرها ورق قلبها لأمها ، كم كانت تتمني أن تضمها أمها إلى صدرها وتمسح شعرها بأناملها فتذيب همومها بين ضلوع أمها لتخفف عنها آلامها ، لكن الأم لم تفعل هذا مع ابنتها بل ظلت تحفزها علي عصيان أبيها ، شردت منى قليلا وقالت لنفسها لماذا أمي تريد أن تساعدني هكذا ؟ ولكن دون أي إجهاد و لاسؤال من منى لأمها أفاقت من شرودها ، سمعت أمها تقول لها عندي لك عريس أفضل من هذا العريس الذي سوف يزوجك له أبوك .

لكن هذا الكلام لم يمر مرور الكرام علي خاطر منى بل تأكدت من ظنها أن أمها لاتساعدها لوجه الله ، ولكن كان ينتابها شعور أكيد أن أمها لاتحبها ، لأنها كانت تعتقد أن مني مستحوذه علي حب أبيها دون أخواتها ، عند هذا تأكدت مني أن أمها لاتريد مساعدتها ، لكن منى تريد أن تعرف سبب إصرار أبيها علي زواجها في هذا العمر الصغير .

شردت منى بخيالها وقالت سوف أعرف لماذا أخذ أبي هذا القرار ؟ فسألت أمها عن العريس الذي تريد أن تزوجها إياه .

قالت الأم : إنه أحمد إبن عمك ، فاندهشت منى لكلام أمها ! الأم تعلم إنه شاب مدلل وفاسد ويتعاطي المخدرات ومقيم علي القهوة ليل نهار ، وتعلم أن أبيها له تحفظات كثيرة علي تصرفاته ، ولكن الأم لم تر عيوب أحمد لأنها لاتري غير إرث زوجها الذي أخذه أخوه منه عنوة ، فوجدت أن زواج مني من ابن عمها سوف يعيد لها حقها في المال ، ولكنها لم تفكر مطلقا في مصلحة ابنتها .

ابتسمت مني وقالت لأمها ظننتك تخافين علي ، لكنني تأكدت الأن أنك تريدين هلاكي أي أم أنت ؟!

بكت منى بكاء شديدا وقالت لها ألست ابنتك ألم تتذكري أنك أنجبتيني ، ألم أكن مثل أخوتي عندك ، لماذا تكرهينني إلى هذا الحد ؟ أنا لم أفعل شيئا لك قط ، لم أعص لك أمرا ، كنت أحبك ولكني لم اشعر طوال حياتي بحبك لي ، تركتيني لأبي من يوم ولادتي هو من كان يسهر علي راحتي لماذا يا أمي فعلت هذا بي كله ؟ لماذا تركتيني لأبي يحول طباعي من طباع انثي لطباع ذكر ؟

ظلت مني تبكي وكأنها تنقم علي اليوم الذي جاءت فيه إلى الحياة ، فهي الآن لاتعلم هل هي طفلة أم آنسه في سن الزواج ؟ هل هي بنت أم ولد مثل ماقام الأب بتربيتها ؟ ولكن الأم لم يرق قلبها لابنتها وهي تراها تنهار من شدة البكاء ، ولا طرق علي خاطر الأم أن تأخذ ابنتها في أحضانها وتجفف دموعها مثل كل أم .

الأم لم تكترث لحال ابنتها وظلت تكمل حديثها وتخبر منى أن زوجة عمها جاءت وطلبت يدك وقالت لي أن أبلغ أبيك ، فذهبت وأبلغته بعد عودته من العمل ، لكنه لم ينطق في أول الأمر وبعد دقائق قال لي أن أمحو هذا الحديث من تفكيري وأنه لا يوافق علي هذا الطلب ، لكني حاولت مرات ومرات ولكنه تمسك بكلامه وبعد مناقشات وخلافات كبيرة وهو في قمة عصبيته معي أقسم أبوك قسما ، عندما سمعت مني هذا الكلام ، نزل علي قلبها مثل الصاعقة

قالت مني : بماذا أقسم يا أمي ؟

قالت الأم : أقسم أنه سوف يزوجك لأول رجل يطلب يدك مهما كان هذا الرجل ، وقال أن هذا القرار أهون عنده من زواجك لإبن عمك ولكني لا أعلم لماذا أقسم هذا القسم .

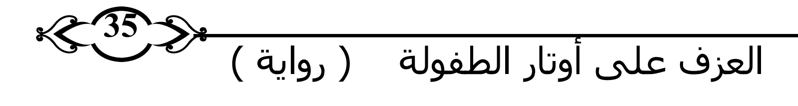
نظرت مني إلي أمها نظرة لاتعلم هل هي نظرة شفقة علي أمها منزوعة القلب أم نظرة تتحسر من خلالها علي حالها وقدرها الذي أوقعها في وسط هذه العائلة ، لكن الأم لم تتوقف عن الكلام وقالت لها أيضا عندما أصدر أبوك هذا القسم كانت تجلس معي جارتنا أم علاء فخرجت مسرعة بعد أن أقسم أبوك لأنها تعلم أبيك جيدا وتعلم طبعه وأنها متأكده أنه سوف يبر بقسمه ولا يقع فيه مهما كانت الظروف .

في صباح اليوم الثاني جاءت لأبيك قبل أن يذهب إلى العمل وطلبت يدك منه لإبنها علاء ولكني تشاجرت معها وقلت لها لماذا فعلت هذا ؟!

قالت أم علاء : أنا أعلم أن الحاج محمد لن يحنث بقسمه ، وهذه فرصه لن أقدر علي ضياعها من يد إبني علاء ، فأنا أريد أن أزوجه منى ، فعلاء إبني ليس به عيب ، وكل فتاة في هذه القرية تتمناه لكونه ضابط ، أنت تعرفيه جيدا ولو طلبتها في أي وقت آخر غير هذا الوقت كان الحاج محمد سيرفض إعطائنا منى .

سألت مني أمها أي واحد من أولادها يدعى علاء ؟! فقالت أمها : علاء لونه خمري ومتوسط الطول ونحيف وشعره أسود وناعم وكثيف ولون عينيه أسود .

قالت أمها : فكري يا ابنتي أنا أريد لك الخير ثم خرجت .



ابتسمت مني بسمة كلها سخرية ، وقالت لهذا السبب قرر أبي أن يحكم علي بالموت وأنا علي قيد الحياة ، وأنه أراد وأد طفولتي ، وتأكدت أنها مهما فعلت أو اعترضت لم ولن يرجع أبوها عن قسمه .

قالت مني لأمها أنا لن أكسِّر كلمة أبي مهما كان الأمر فتعصبت الأم وذهبت من الغرفة وتركت ابنتها ذبيحة علي سريرها ، ودموعها تنهمر علي وجنتيها وكأنها نهر جار لاتقدر علي إيقافها ، فوضعت وجهها داخل الوسادة التي كانت تنام عليها وهي تقول سوف أدفن كل آلامي بين أحضان الزمان وتتمنى لو أن الله يحبها لاتفيق من نومها هذا ، ونامت منى ودموعها لم تجف من عينيها .

لكن الله لم يتقبل دعاءها فاستيقظت كعادتها ولكن هذه المرة لم تستيقظ مثل كل يوم فهي استيقظت ومكثت علي سريرها في غرفتها ، قررت الإبتعاد عن العالم وعن أبيها أيضا فلم تذهب لتعد له الطعام كعادتها ولا ملابسه ولا الشاي الذي كان يشربه قبل خروجه .

جلس الأب ينتظر منى كعادتها معه ولكن بدون أي فائده .

ظلت مني ماكثة في غرفتها وظل شريط حياتها يمر من أمامها وكأنه طيف جميل يمر عليها مرور الكرام ، تتذكر أبيها وماذا كان يفعل معها ويدللها ويعلمها كل شئ ولم يبخل عليها بحبه وعطفه ، وكيف كانت هي المستحوذة علي حب أبيها طيلة هذه السنوات وكم كانت سعيدة في طفولتها وأنها كانت لأبيها أخته وأمه وصديقته .

ظلت تتذكر كلام أبيها وحكاياته ، وأنه كان يتمني أن يرزقه الله بطفلة في أول زواجه لتكون له أختا وإبنة وصديقة ، لكن الله أراد أن يعطيه صبيا ، وعند ولادته حزن لأنه صبي كان يريده فتاة ، فتعجبت الأم !! لماذا يحزن ؟! فكل رجل يحب إنجاب الذكور .

قال لها أنا عندي أربع أخوة من الذكور وقد حرمني الله أن يكون لي أختا وأخاف أن يحرمني من أن يكون لي إبنة ، فعلمت أنه يحب البنات دون الصبيان ، فقالت له ألم تسم إبنك قال لها إختاري أنت إسما له وأنا سوف أذهب إلى مكتب الصحة لإثباته وأستخرج له شهادة ميلاد فنظرت له ولم تتفوه بكلمه .

بعد دقائق قالت له سوف أسميه أكرم .

قال : علي بركة الله وبعد شهور من ولادتها لإبنه الاول طلب من زوجته أن تحمل لعل الله يرزقه بطفلة فسمعت الزوجة كلامه وحملت وبعد تسعة أشهر أنجبت فتاة فأسماها منى وفرح فرحا كبيرا وقام يوزع النقود والحلوي علي كل مسكين يمر أمام منزله .

تتذكر مني دموع أبيها وهو يروي لها كل هذه الذكريات وكيف انكسرت فرحته بعد مرور أعوام علي ولادة أختها التي ماتت وهي طفلة وكسرت قلب أبيها من الحسرة عليها فقد ماتت الأخت والأم والصديقة .

كان يروي لها كم كان ينتظر كل يوم ويتساءل متي ستكبر ، كان يوقفها أمامه كل يوم ليري كم ارتفع طولها ، ويحملها بيديه ويزن كم زاد وزنها ، أي عشق هذا ؟

وبعد أن أتمت سنتين من عمرها ماتت مني التي كان ينتظر أن تكبر على أحر من الجمر ، حزن لموتها حزنا عميقا ، قطع الطعام وانكسرت فرحته ، دخل في عزلة مع ذكريات ابنته كان ينادي عليها وهو مستيقظ وهو نائم .

رأت زوجته حالته تسوء كل يوم عن الآخر ففكرت أن تعيد له فرحته فحملت مرة أخري وأبلغته بأنها حامل لعل الله يرزقه ويعوضه بإبنة تعوضه عن التي ماتت ففرح بالخبر وإستعاد وعيه .

أعاده هذا الخبر للحياة من جديد بكل الأمال والأحلام وظل يدعو أن يرزقه الله بفتاة تكون عوضا عما أخذه منه ، فأعطاه الله فرحته الثانية .

روي لها كيف كان يوم ولادتها ، ولماذا أسماها منى علي إسم اختها وعمرها فأصبحت منى أكبر من عمرها الحقيقي بسنوات ، وكان يشاهدها وهي تنمو ويشتد عودها يوما بعد يوم وعاما وراء عام ، أصبحت في السادس من عمرها هذا العمر الذي كان المفروض أن تكون مني في أول عام دراسي لها في المرحلة الإبتدائية ولكنها فوجئت أن أباها قال أنها مقيدة في المدرسة من سنوات لأنه قدم شهادة ميلاد أختها إلى المدرسة ، فأصبحت من هنا حياة مني ليست حياتها ولا أسمها ولا عمرها وضاعت فرحتها بأول يوم دراسي كأي طفل في عمرها ، فلم تفرح بملابس المدرسة الجديدة وحقيبتها وذهابها ممسكة بيد أبيها في سعادة غامرة ، لكنه حرمها من أن تدخل المدرسة مثل باقي الأطفال الذين في عمرها .

ظلت تتذكر كيف كانت تذهب إلي باب المدرسة فتجد جميع الأطفال يقفون في فناء المدرسة في طابور منتظم وينشدون نشيد

بلادي وتنشد معهم بصوت خافق مخنوق بدموع وهي تتحسر علي حالها وبعد الإنتهاء من الطابور وتحية العلم تجد الأطفال يذهبون إلي فصولهم وهم يضحكون وسعداء ، فترجع مني إلى المنزل ، مرسوم علي وجهها بؤسا شديدا ودموعها تتساقط من شدة الحزن .

كان هذا العزف الثاني علي أوتار طفولتها البريئة وأحلامها الجميلة التي تبعثرت علي أوتار الزمان .

رفض الأب ذهاب مني إلي المدرسة لأنه سوف يفتضح أمره وكان مدير المدرسة يعلم كل شئ لأنه كان صديقا لوالدها.

قال له المدير أن يقوم هو علي تعليمها القراءة والكتابة وأن يدرس لها مناهج المدرسة من الصف الأول الإبتدائى وحتي نهاية الشهادة الابتدائية ، فهي كانت ذكية وتستوعب كل مايعلمه والدها وكل مايقوله لها كانت تحفظه عن ظهر قلب ، كانت طفلة في عمر الستة سنوات ولكن والدها كان يعاملها علي أنها آنسة كبيرة ، بل كان يخاف عليها من الهواء ومن أي أحد ، تتذكر مني كيف علمها المبادىء والقيم والأخلاق والحلال والحرام علمها كل شئ ، تتذكر كيف كانت تستيقظ قبل أن يستيقظ هو من نومه فيجد الإفطار والشاي وملابس العمل جاهزة فكانت لاتتركه إلا وهو ذاهب إلي العمل ، ثم تعود إلى غرفتها لتذاكر وحين تتعب من المذاكرة تذهب لمشاهدة التلفاز ، كانت هذة التسلية الوحيدة التي في حياتها ، ويمر اليوم مابين الغرفة و مشاهدتها التلفاز .

وبرغم من تواجدها في المنزل الذي تقيم به والدتها فلم ترغب مني قط في الحديث معها ، وكانت تشعر أنها لاتحبها فكانت ترفع صوتها عليها في كل وقت وكل حين وذلك عند غياب أبيها ،

ولكن مني لم تفكر قط لماذا تعاملها والدتها هكذا دون أخويها ولكنها كانت تلتمس العذر للأمهات لأنهن يفضلن الصبيان عن الفتيات ، لكن لماذا لم تحب مني وتحب أخوانها الذكور أكثر منها ؟! أليست منى ابنتها الوحيده ؟ وهل يوجد في الكون أم لا تحب أولادها

لكن مني لم تفكر كثيرا في والدتها فأبوها كان يعوضها حنان الأم والأب معا ، فتعودت علي العزلة وأن تبقي مع نفسها ، وقبل وصول الأب من العمل بساعات تذهب مني إلى المطبخ لتجهز الغداء للأب وتتفنن في أن تعد له أشهي الأطعمة التي يحبها .

يأتي الأب من العمل وبعد دخوله من الباب لايذكر إسم أحد غير منى فينادي عليها وهو يعلم أنها تنتظر وصوله من العمل علي أحر من الجمر ، أي حب هذا من طفلة لأبيها ؟ .

تتذكر كيف كان ينادي عليها فتأتي مهرولة والفرحة تتراقص في عينيها لعودة أبيها ، فهو العامل الأساسي في تمسكها بالحياة ويجلس الأب وتقوم مني بمساعدته علي خلع ملابسه وإرتداء ملابس المنزل ، وتأتي له بكوب من العصير الطازج الذي أعدته له وبعده تأتي له بالغداء .

يجلس مع مني يتناول الغداء وبعده يذهبا معا إلى حديقة المنزل التي توجد بها أشجار من الجوافة والبرتقال والمانجو ويجلسا معا تحت شجرة المانجو والعصافير والطيور تحلق من فوقهم وكأنها تنتظر وصولهما .

يجلس الأب ويسأل مني كيف كان يومك ياصغيرتي ؟

تقول منى : مثل كل يوم لاجديد .

يسألها أبوها : هل ذاكرت واجباتك والدروس التي أعطيتك أياها ؟ .

منى : نعم ذاكرت كل شئ ماعدا دروس اللغة العربية فأنا لا أحبها .

يغضب الأب منها ويقول لها إذهبي واحضرى كتب اللغة العربية وكراس وقلم .

يجلس الأب ليذاكر لمنى وبعد الإنتهاء يجلسان ليتحدثان في أي موضوع ، وبعد الإنتهاء من الحديث يقوم الأب ليقول لها سأذهب إلى غرفتي لأستريح قليلا .

تذهب منى معه لتبسط عليه الغطاء وتطفئ له مصباح الغرفه وتغلق خلفها الباب وتذهب إلى غرفتها لتذاكر دروسها حتي يستيقظ ، وعندما يستيقظ والدها يجد كوب الشاي والماء الدافئ ليتوضأ ويصلي ويرتدي ملابسه ليخرج مع أصدقائه علي ضفة النهر في المكان الذي يعشقه ، وهكذا مرت الأيام مع منى وهي في كنف أبيها وفي حضنه .

ظلت منى شاردة مابين الحاضر المؤلم والماضي السعيد الذي لم يأت يوم مثله بعد الآن تائهه بين أنوثه ضائعه وغير مكتمله وبين طفولة سعيدة كانت تعيش بها مع أبيها .

ظلت تتذكر حياتها السابقة وطفولتها البريئة وتخاف من المستقبل الذي لاتعلم عنه شيئا ولا تدركه ، وظلت متكئه على

الفراش تتذكر الماضي ولاتشعر بمرور الوقت ، عندما تعبت من النوم مستيقظة قامت من علي السرير ، ذهبت إلي النافذة وفتحتها لتجد ظلاما دامسا خارج الغرفه ، نظرت إلي الساعة التي بيدها فوجدت أنها في منتصف الليل ، فنظرت إلى السماء فوجدت النجوم تتلألأ والقمر مخنوق ولونه أحمر وسواد الليل الدامس يذكرها بأن هذه حياتها المستقبلية ،أحلامها تتناثر مثل النجوم وروحها مخنوقة مثل القمر .

ذهبت مسرعة إلي الفراش ونامت دون أن تتذكر أنها لم تأكل شيئا طوال اليوم ، لكنها لم تشعر بأي رغبة فى الطعام ولا الشراب ولا حتي الحياة ، لم يشغلها الجوع والعطش ، كل ماتفكر فيه هو ماحدث في هذا اليوم وما مر بها من أحداث .

كان يوما طويلا جدا علي طفلة في مثل هذا العمر ، فهي لا تقدر على إستيعاب ما حدث لها من قلق وحزن وتوتر ، تقاوم كل هذا الوجع الذي بداخلها ولكن كل مايشغلها الآن هو أن تجف دموعها ويغمض جفنها وتستطيع النوم ، هي تريد أن يتوقف عقلها عن التفكير لتسترخي وتنام نوما عميقا ، و تتمني أن تستيقظ لتجد أن هذا اليوم لم يمر علي حياتها وكأنه أضغاث أحلام ستفيق منها بعد إستيقاظها من النوم ، وهي تفكر سمع الله مناجاتها وأفقدها الوعي فقد غلبها النوم ونامت ، لكن عقلها الباطن لم ينم فظل متيقظا ، كأنه ليس مقتنعا بالموضوع كليا ونامت ولكنها لم تستمتع بنومها لإستيقاظ عقلها الباطن ،و ظلت مابين النوم واليقظه .

مر الليل وهي هكذا وكعادتها إستيقظت في نفس الوقت الذي إعتادت أن تستيقظ فيه دون تدخل من أحد ولكن بإيحاء من الرغبه التي تكمن بداخلها منذ صغرها فتواظب علي إيقاظها في دقة

وكأنها منبه يدق بجوار أذنها ، ظلت لحظات علي شك من إستيقاظها ، فاختلط عليها رؤي الأحلام وهمسات الإحساس حتي بادرها القلق الذي ألمَّ بها قبل أن تفتح جفونها ، خشيت أن يكون النوم قد غلبها ونسيت أن والدها ينتظر الإفطار ليذهب إلى عمله ، لكن سرعان ما رفعت جفونها وفتحت عيناها لتري ان الضوء ملأ الغرفه وشعاع الشمس يدخل من الثقوب التي توجد في النافذة وصوت العصافير يعلو وكأنهم ينادون عليها ليوقظونها من نومها ، أسرعت وقامت من علي السرير ، ذهبت وفتحت النافذه فوجدت الشمس مشرقة ، ذهبت مسرعة إلى باب الغرفة وفتحته بقوة ، أسرعت إلى غرفة أبيها لكنها وجدت الغرفة فارغة لا يوجد أحد بها

ذهبت إلى المطبخ فسألت أمها بصوت مرتجف حزين أين أبي ؟

قالت الأم : لقد ذهب الي عمله .

قالت مني : هل تناول إفطاره وشرب الشاي ؟

قالت الأم : لا . لم يأكل شيئا بل قام مسرعا وارتدى ملابسه وذهب إلى غرفتك فوجدك نائمة فلم يرغب أن يوقظك فأغلق الباب وذهب وهو يتمتم بكلمات لم نفهمها وعيناه دامعتان وذهب وتوضأ ولبس ملابسه وذهب لعمله دون أن يتناول شيئا من الطعام أو ينطق بكلمة واحدة .

رجعت منى إلى غرفتها وقلبها يتمزق من الألم علي حالها وحال أبيها ، ولكنها كانت علي يقين أن دوام الحال من المحال وأن هذا الوجع سوف يأتي عليه اليوم ويزول كله ، كان يوجد عندها

أمل أن أبيها سوف يأتي عليه اليوم الذي سوف يفيق من هذه الغيبوبة فهو لايستطيع الإبتعاد عن ابنته ولايستطيع إبعادها عن حضنه ، لكنها مازالت تفكر في هذا الأمر مرارا وتكرارا إلى أن مضي الوقت .

عاد أبوها من عمله فوجدها تعد له الغداء وأتت له بثيابه فاستغرب لهذا كله ، وجدها تفعل مثلما كانت تفعل له في الماضي دون أن يتغير شيئا من عاداتها ، فقد دفنت ألمها في صدرها ولم تظهر له غضبها منه .

فرح الأب بوضع منى الحالي وأنها لم تغضب منه ولكنه يعلم ابنته جيدا من عينيها فهي كانت تمثل الإبتسامة المرسومة علي الوجه فهو يعلم أن بداخلها بركان من الغضب والنفور ولم تظهره لأحد قط ، لكنه لم يخف عليه وجه صغيرته فهو يحفظ ملامح وجهها عند السعاده وعند الحزن ، هو يري دموع حائرة في عين ابنته رافضة أن تتساقط وأن يراها أحد ، مع كل هذا لم يحرك ساكنا ، ولم يحن قلبه عليها ، فقال لنفسه أنها سوف تتقبل الأمر الواقع مع مرور الوقت .

لكن مرت أيام وأسابيع وشهور ومني تعتصر من الألم الذي بداخلها ، أصابها الحزن الشديد علي حالها فهي أصبحت لاتعلم شيئا عن حالها توقف كل كيانها وجوارحها وأصبحت جثة هامدة .

أصبحت معاملتها لأبيها ليست كما هي ، فهي تمثل السعادة وهو يمثل عدم الإهتمام ، إلى أن جاء يوم ذهابه إلى الحج ، دخل الأب ليسلم عليها قبل سفره .

قال الأب : ألا تودعيني ياحبيبتي ؟

نظرت له منى وهي تبكي ولم تتفوه بكلمة واحدة .

خرج الأب من غرفتها وهو يبكي ، لكنه قال لنفسه سوف أدعي لك ياحبيبتي حتي يطمئن الله قلبك ويسعد أيامك ، تركها في حيرة كبيرة تتمني أن يعود أبوها من الحج ويقول لها أنه أنهي زواجها بعد أن كفَّر عن قسمه في بيت الله الحرام .

أنبتت بذرة الأمل بداخلها من جديد ، وواصلت حياتها كما هي ، إلى أن جاء أبوها من الحج وجاء معه التوتر والقلق من جديد

بعد مرور أسابيع من وصوله من الحج ، جاء يوم إبلاغها بموعد زواجها ، في هذا اليوم كانت جالسة في الحديقة مع كلبها رعد فجاء والدها وجلس لجوارها فنظرت بعينيه نظرة عتاب فلم يشغل باله بهذه النظرة فهو تعود عل عدم النظر لعينيها فقال لها إنه حان الوقت الذي تتركين فيه منزل أبيك وتذهبين لمنزلك الجديد فقد حددنا يوم الزفاف فنظرت له وأطالت بنظراتها والعرق يتساقط منها والخوف يقتلها .

هبط عليها الخبر كالصاعقة التي تنفجر في وجه البشر دون سابق إنذار ، فكل يوم يولد عندها أمل جديد أن الظروف سوف تتغير وإن زواجها هذا لن يكتمل .

ذهبت مسرعة إلى غرفتها وهي لاتنطق بكلمة واحدة ، وألقت نفسها علي سريرها ودفنت وجهها بداخل وسادتها وظلت تصرخ بصوت مكتوم لم يسمع صراخها غير وسادتها وقلبها

الممزق ، بعد مرور ساعة وهي علي هذا الحال من البكاء المتواصل ، شعرت مني بخفقات سريعة في قلبها وكان صدرها يتمزق من الألم وعينها لاتستطيع الرؤية بها وبطنها تتمزق من شدة الألم ، يراودها آلام شديد في مقدمة الرأس .

ماهذا ؟!

كل هذا المرض الذي جاء فجأة وهاجم جسد مني ، هل جسد مني يعترض هو الأخر دون إرادتها علي ما سيحدث له في القريب العاجل ؟ أم هي مريضة حقا ؟ لكنها لم تشعر بمثل هذا الألم قبل الآن ، فصرخت صراخا عاليا اهتز له جدران المنزل .

ذهب الأب والأم إليها مسرعان وهما يتساءلان ما بك يا ابنتي ؟

تنظر منى لأبيها ولا تستطيع الكلام .

حملها الأب بين ذراعيه وذهب بها مسرعا الي الطبيب الذي كان يسكن بجوار منزلهم ، فلم يستطع أن يصبر علي أن يأتي به إلى المنزل فخوفه علي ابنته أفقده التركيز وحملها علي كتفيه ، صعد إلى الطابق الثالث من منزل الطبيب حيث يسكن ، دق الباب بصوت عال .

خرج الطبيب ليسأل من وراء الباب ؟

قال : أنا الحاج محمد جارك يادكتور مازن إفتح أرجوك .

استغرب الدكتور مازن وفتح الباب مسرعا وتيقن أن الحاج محمد في مأزق فهو ليس معتادا علي أن يترجي أحد ، وجده يحمل ابنته علي كتفيه ، يقول له أنقذ ابنتي فهي تتألم فأدخلهم الدكتور مازن مسرعا إلي غرفة المكتب التي يوجد في المنزل ، وطلب من الحاج محمد أن يضع ابنته على الشيزلونج وغطاها .

قام الطبيب بفحص مني وهي تصرخ وتتألم كثيرا ولكن الطبيب يجد مني تصرخ وتتألم ولا يعلم أين مكان الألم فالتشخيص أثبت عدم وجود مرض عضوي ، فلماذا تتألم وتصرخ هكذا ؟!

قال الدكتور مازن : من فضلك ياحاج محمد ، وابتعدا قليلا عن مني .

قال الدكتور : قص علي ماذا حدث لمني قبل أن تصرخ ؟

قص الحاج محمد كل ماحدث لابنته .

قال الطبيب : هي عندها أزمه نفسية لا عضوية .

لكن الحاج محمد لايسمع كلام الدكتور ، لأنه خائف علي ابنته ويقول له أنها تصرخ من شدة الألم .

قال الدكتور مازن : إن عندها إيحاءات بالألم هي فعلا تتألم ، القولون العصبي مع الحالة النفسية يجعلها تعتقد أنها مريضة .

قال الأب : ربما تكون أعراض الزائدة الدودية .

نفي الدكتور مازن ذلك تماما وقال ان الزائدة أعراضها قئ وألم في الجانب الأيمن مستمر .

سمعت مني كلام الدكتور مازن لأبيها ، قالت لنفسها أن تمثل أعراض المرض حتي يأخذها أبيها إلى المشفي وتحجز بعض من الوقت حتي تجد مخرجا لنفسها .

بالفعل ظلت تصرخ وتقول أن جنبها الأيمن يؤلمها ألما شديدا .

قال الدكتور مازن : لابد من أخذها إلى المشفي لنجري لها بعض الفحوصات .

أخذها والدها برفقة الدكتور مازن والأهل والأقارب والأصدقاء ، الكل يريد أن يجامل والدها فقد كانت كل البلدة تعشقه وتهابه في نفس الوقت .

نظرت مني لأبيها وجدته يتألم من أجلها وقلبه ينفطر من الخوف عليها ولكنها لم تستطع الرجوع في كلامها ، ظلت تمثل الألم وصراخها يتزايد .

أخذها الطبيب ودخل غرفة الإشاعة وأجرى لها التحاليل مسرعا ، لكن حدث شئ غريب !

خرج الطبيب إلى الأب ليقول له أن منى عندها الزائدة ، وإنه لابد أن يجري لها العملية الآن .

قالت مني لنفسها وتذكرت كلمات كانت تسمعها من أبيها دوما (لاتتمارضوا فتمرضوا فتموتوا) ، ولكنها لاتخشي الموت فزواجها والموت واحد .

أخذها الطبيب في يده وكاد أن يذهب بها إلى غرفة العمليات ، لكنها تعلقت في رقبة والدها وظلت تبكي وهو يبكي من الخوف عليها ، لكنه تماسك أمامها مثل تماسك الجليد أمام أشعة الشمس وكان يطمئنها لكي تذهب مع الطبيب ، لكن يدهما ماتت في قبضة واحدة ، يقول لها إذهبي كي تشفين وهو ممسك بيدها ولا يدري أنه متمسك بها ولايريد أن يتركها خوفا من أن يخطفها الموت أثناء الجراحة .

لكن الطبيب أخذها عنوة وأعطاها إلى الممرضة فهي كانت تعرف والد منى وتعرف عائلتها جيدا لأنها تسكن في نفس القرية وفي نفس الشارع .

أخذتها الممرضة إلى غرفة العمليات واستدعت طبيب التخدير ، دخل شاب يناهز عمره(الخامسة والعشرين من عمره) متوسط الطول وجهه أبيض ، شعره أسود ، وعينيه بنِّيَّتين وله حسنة سوداء علي خده الأيمن ، وقف ثابتا عندما رأي مني أمامه ، فهي كانت تمتلك سحرا غريبا هي نفسها لا تعرف سببه ، عندما نظر في عينيها لم يشعر بشئ غير أنه يريد أن يقف أمامها لينظر إلي عينيها ، نسي أنها مريضة وأنه طبيب ، كل مايمر بخاطره هو هذا الوجه الذي لطالما رسم ملامحه من خياله في مذكراته .

فنادت عليه الممرضة وقالت يادكتور وليد هيا إعطها الحقنة ، هو لا يسمعها ، قالتها عدة مرات ، وهو واقف أمام منى ينظر إليها شاردا .

قالت الممرضة : بصوت عال : يادكتور وليد أعطها حقنة البنج الطبيب الجراح سوف يدخل الآن ، فأفاق لنفسه وتذكر أنه جاء ليخدرها من أجل العملية .

قالت الممرضة : أين تعطيها حقنة البنج .. في العمود الفقري أم في الوريد ؟

قال طبيب التخدير : سوف أعطيها في العمود الفقري ، وقال سوف أمسك بيدها حتي أجلسها علي الترولل ، أمسك بيدها وأجلسها ، لكنه كان يتعمد أن يلمس جسدها ، كانت طفلة لاتعلم أنه يتحرش بها من شدة جمالها ، وبعد أن أعطاها الحقنة هو والممرضة وتيقن أن البنج أثر فيها وأصبحت مهيأة للعملية .

قبل دخول الطبيب الذي سوف يجري العملية أراد الدكتور وليد بعد أعطائها حقنة البنج أن يقبلها لكن الممرضة نهرته .

قالت الممرضة : إن عائلتها بالخارج ، لو أحس أحدهم بشئ سوف يقتلونك ، فخاف وتراجع لم يعمل حساب أن مني لم تفقد الوعي بل كان نصفها الأسفل فقط ولكنها تسمع كل شئ ولم تستطع أن تفتح عينيها ، ولا أن تنطق ، كانت تظن أن جسدها بالكامل فاقد الوعي ، ولكنها كانت مستغربة أنها تسمع حوار الدكتور وليد والممرضة ، وظنت أنها تحلم .

بعد إجراء العملية لمني ظل طبيب البنج يهتم بها ولايترك والدها وبقي معه حتي أفاقت منى من العملية وأطمئن عليها ، طلب من الجميع أن يذهبوا لأنهم ظلوا عاكفين معه الليل كله ولم يسترح أحد منهم ، فذهب كل الناس .

في الصباح قبل أن تستعيد وعيها من العملية فكانت ليلة طويلة جدا كلها صراخ وأنين .

طلب الدكتور وليد أن يمسك يد مني حتي تسير في الممر قليلا ولكنها رفضت .

قالت منى : أن أبيها سوف يسير معها ونظرت له ، وقالت لن أسير معك فنظر لها وكأنه يترجاها ان تتركه يلمس يدها فهو يتودد لها لأن قلبه أخفق بحبها ، لكن كيف لطفلة أن تعرف مشاعر الحب هذه .

رفض والدها هو أيضا ، وقال أنا سوف أقدر علي أن أسندها وحدي ، فقد وقع نظر الحاج محمد على الدكتور وليد وهو ينظر لمني نظره غريبة لايجدر بطبيب أن ينظر لمريضة مثل هذه النظرة ، لكنه أستبعد الفكرة في الحال ، وقال أنه طبيب ويمر عليه في اليوم مئات من البنات والسيدات من هم أجمل من مني ، لكنه لايعرف أنه قد سحر من نظرات عيناها .

ذهب الدكتور وليد بعدما رفض الحاج محمد أن يعطيه فرصه أن يمسك بيد منى ويسندها حتي تسير معه ، ولكنه لم يبتعد كثيرا فهو كان يراقب غرفة منى طوال الوقت حتي يجد الفرصة لتقبيلها ، لكن حدث مالا يحمد عقباه .

أخذ الأب يد ابنته وخرج من الغرفة وظلا يمشيان معا وهو ، لكن مني لم تتحمل المشي فوقعت من يد أبيها مغشي عليها ، فقدت الوعي فحملها أبوها وذهب بها إلى غرفتها ووضعها علي السرير .

جاء الدكتور وليد مسرعا لإفاقتها ، وطلب من الحاضرين إن يبتعدوا عن منى حتي يعطيها حقنة في الوريد لتستعيد الوعي ، وأعطاها الحقنه وقبل أن تفيق انحنى برأسه نحوها وكأنه يريد أن يستنشق أنفاسها فرأته سيدة كانت واقفة معها جاءت مع الذين جاءوا إليها بعد أن وقعت علي الأرض .

فقالت السيدة للطبيب : ماذا تفعل ؟

قال الطبيب : أحاول إفاقتها .

قالت السيدة : لا أنت تريد أن تقبلها ومنى مابين النوم واليقظة

نظرت منى وسمعت كلام السيدة له ، رأت وجهه فتذكرت انه كاد يقبلها في غرفة العمليات ، قصت لوالدها في نفس اللحظه ، شحب وجه الدكتور وليد وأنكر ، لكنها ظلت مصرة علي كلامها .

قالت منى : إن الممرضة قالت له لاتفعل من أجل عائلتها . إحْمَرَّ وجه الأب وغلى الدم في عروقه ، أخذ الدكتور زاحفا علي ركبتيه أمام الناس الذين في المشفي ، فخرجوا وراءه يتساءلون عن مابدر من الطبيب .

سمع مدير المشفي ضجيج أمام غرفته ، خرج مسرعا ، وجد الحاج محمد قد قيد الدكتور وليد في شجرة في فناء المشفي ،

خرج مدير المشفي حتي يعلم مافعله الدكتور وليد وهل يستحق كل ما فعله به الحاج محمد .

أخبره الحاج محمد بما بدر من هذا الشخص الموثق بالشجرة ، اندهش مدير المستشفى فهو يعلم جيدا أن الدكتور وليد لن تصدر منه هذه الأفعال المشينة فالدكتور وليد على خلق ودين ويعلم حدود مهنته جيدا ولكن المدير تساءل ماذا أصاب الدكتور وليد ليشك فيه كل البشر الذين يقفون حوله ؟! ويجعله يظهر بما لا يليق بمثله كطبيب يحمل رسالة انسانية في المقام الأول وأخذ يترجى الحاج محمد أن يحل وثاق الدكتور وتعهد بأن يحوله للتحقيق ، ويوقفه عن العمل من أجل كلام الناس والمرضى ، لكن كل هذا لايؤثر في الحاج محمد ظل يضرب فيه .

قال الحاج محمد : لن أحل وثاقه حتي تحضر لي عائلته كلها ، لكن وليد لم يكترث لما فعل به الحاج محمد وكان يقول له أنا أحبها وأريد أن أتزوجها.

فطلبت مني من الممرضة أن تسندها وتذهب بها إلي النافذة ، وهي تسمع صراخ الطبيب وهو يقول أنه يحبها ويريد أن يتزوجها ، بكت من أجله بكاء شديدا ، وخفق قلبها خفقة اهتز لها صدرها وارتجف جسدها ، لكنها لاتعلم أن هذه الخفقة كانت بوادر عشق ، ولكنها لم تفكر بالأمر ، أيمكن ان يكون قلبها قد خفق بحب وليد ، فهي لاتعلم ماذا يكون الحب ، وظلت تبكي وهي تشعر بالذنب ، وأنها كانت سبب في ضياع مستقبل الشاب الذي عاند مشاعره بطريقة خاطئة مندفعا تجاه لحظة لم تكن مناسبة للإعلان عما خالط أحاسيسه ومشاعره الفياضة تجاه منى ، فهو في غنى عن مذلته و إهانته أمام الجميع من جراء تصريحه الأهوج بحبها ، هي تفكر

ببراءة غريبة لأنها طفلة لم تقابل قبل الآن الوحوش الذين يرتدون أقنعة بشر .

وجدت منى أبيها لأول مرة يبدو كوحش من وحوش هذه الأرض التي باتت تشبه الغابة الواسعة ، تساءلت أين الأب الحنون لماذا تحول هكذا ، فهي لم ولن تعتاد علي رؤيته في هذا المنظر .

ظلت مني متحاملة علي نفسها لأحساسها بذنب هذا الشاب وهي بداخلها تقول أنها سبب ماحدث له ، لو أنه لم يرها لما حدث له ذلك ، وأصبحت تفكر في وليد كثيرا وهي معتقدة أنها تشفق عليه ولكنها لم تعلم أنها كانت علي مشارف الإحساس بحبه .

بعد كل هذه المشاكل اتصل مدير المشفي بعائلة وليد فأتوا جميعا وقدموا الإعتذار ، وبعدها حلوا وثاقه .

لكن الطبيب وليد ارتكز علي قدميه أمام الناس راجيا الأب أن يوافق علي زواجه من ابنته التي أحبها حبا شديدا ، وقال أنه لايقدر علي أن يعيش بدونها فهو لا يفكر في كرامته ولا جسده الذي تمزق من الضرب ، كل مافكر به هو الألم الذي بداخل قلبه ، فهو يشعر أن بداخل قلبه الحمم البركانية تحرق كل جوارحه وكل أركان نفسه ، لكن أي حب هذا الذي تكون في يومين .

عقل مني الصغير الطفولي لم يستوعب مايحدث .

ذهب الأب وحمل ابنته وخرج بها من المشفي لأنه خاف عليها ولإنه لايؤمن بشئ إسمه الحب .



خاف مدير المشفي من الحاج محمد فكتب إقرارا بخروج منى قبل أن تفك سلك العملية علي مسؤليته الخاصة .

ذهبت منى إلي المنزل وهي لاتعلم ماذا حدث لوليد بعد أن أخذته عائلته وذهبوا به إلي بلدته .

في أثناء علاج منى في المنزل لا أحد يهتم بها ولا أحد يمرضها غير والدها .

بعد أيام تلوث جرح منى وأصبح به صديد ، فحملها أبيها مجددا وذهب بها إلى المشفي لينظف الجرح ويفك السلك ويعقم الجرح ثانية.

رأت منى الممرضة فسألتها عن الطبيب وليد فهي كانت متعطشة لسماع أي شيئ عنه وعن أخباره لتطمئن ويستريح ضميرها .

قالت منى : ماذا حل بالدكتور وليد ؟

قالت الممرضة : أنهم أوقفوه عن العمل وحولوه إلى التحقيق وكل هذا بسببك.

زادها هذا الكلام آلاما علي آلامها التي لم تلتئم بعد ، فآلام الضمير صعب تحملها فزادها المرض ألما شديدا ، ومنى لم تحتمل آلام الضمير ولا الجسد ولا القلب فهي مازالت طفلة وقد حمَّلوها فوق طاقتها ، ولكنها أصبحت عاشقة لمرضها وآلامها ، ظلت تدعو الله أن لايشفيها من مرضها ويعجل لها الموت راحة من ألامها وأوجاعها وأحزانها .

في صباح يوم ليس ببعيد سمعت مني ضجيج وحركة في منزلها فقاومت نفسها وجسدها الهزيل وغادرت سريرها لتنظر وتسمع ماذا يحدث خارج غرفتها .

جاءت بعصا جدها واتكأت عليها ومشت بخطوات بطيئة لأنها لا تستطيع السير من شدة آلامها وأوجاعها ، ذهبت مني إلى الباب وفتحته فتحة بسيطة حتي لا يراها أحد ، صعقت منى عندما رأت الناس يحملون أغراض جهازها ويذهبون بها إلى منزل علاء ، فتيقنت أنه جاء يوم القضاء عليها ، بكت بكاءً شديدا ، تمزق قلبها لعدم اهتمام أحد بحالتها الصحية و النفسيه وانها لا تأثر في والدها ، لكن عند عودتها إلى السرير وهي تبكي رأها أخوها الأصغر يسين ، ذهب لها مسرعا وهو فرحان والفرحه تتراقص من عينه ويقول لها بكل فرح وحب أنه يحمل شوارها مع الناس لقد اقترب يوم زفافك ، لكنها دون أن تشعر ومن كثرة حزنها صفعت أخيها بالقلم علي وجه وكأنها تصفع الأيام والحياة ، فنظر لها ياسين وهو يبكي

قال أخوها ياسين : لماذا صفعتيني .. أنا لم أفعل لك شئ ؟

لكن منى لم تتمالك نفسها فسقطت العصا من يدها وركزت علي الأرض واحتضنت أخيها بين ذراعيها وظلت تبكي بشده وتقول له سامحني ياصغيري لم أقصدك سامحني وظلت تقبل خديه وجبينه وتقبل يديه ، لكنه لم يبك من ألم الصفعة كان يبكي علي بكاء أخته وهو يشعر أنها تتمزق من شدة الآلام ، لكنه طفل يبلغ من العمر سبع سنوات لايدرك شيئا ولايعلم لماذا هي حزينه هكذا .

خرج ياسين من غرفة مني وهو حزين علي حزن أخته ظل يبكي ، فرأى دموعه أبوه .

سأل الأب : ماذا يبكيك يا ياسين ؟

قال ياسين : مني تبكي بشده .

سمع الأب كلام ياسين فوقف متألما علي ابنته ، لكنه لا يقدر علي تغيير قراره ، مسح دموعه وتماسك وذهب بنفسه إلى منى ليبلغها أن تستعد لأن زفافها بعد يومين .

دق الأب باب غرفة منى ولم ينتظر أن تأذن له بالدخول ، فتح الباب ودخل فوجدها متكئة علي قدميها علي الأرض ، ذهب لها مسرعا وأمسك بيدها وأوقفها وحملها بين ذراعيه لكنه لم ينظر إلي عينيها مطلقا ، وضعها علي السرير وبسط عليها الغطاء وهي تنظر له بشغف وتتمني أن ينظر إليها ولكنه تعمد ألا ينظر إليها ولكن تخاطفت عيناه نظرة من عينيها فلم يتمالك نفسه وذهب مسرعا من الغرفه دون أن ينطق بكلمة واحدة قبل أن ينهار ويبكي أمامها فخرج من الغرفه وأغلق الباب خلفه .

وقف الأب خلف الباب يبكي ويمسح دموعه خوفا أن يري دموعه أحد ، وسمع مني وهي تبكي وتنادي عليه وتصرخ وتقول له لأول مره لن أسامحك طول حياتي علي ما فعلته بي وكان كلام مني مثل سكين يمزق قلبه ، لكنه لم يتنازل عن قراره أبدا ، قال في نفسه أن عهدي مع ربي أقوي من عهدي مع ابنتي ، ذهب وأتم عمله وحمل الشوار كله وذهب به إلى منزل علاء وجهزوا شقة العروس علي أكمل مايكون ، فهو لايبخل عليها بأي شئ وأغلق باب الشقة وأخذ مفتاحها في جيبه خوفا من أن يدخل أحد ويغير نظام الشقة فهو يعلم ذوق ابنته فقد قام بكل شئ كانت تحبه لعل هذا كله يشفع له عندها .

مر اليومان وكأنهم ساعات معدودات وجاء يوم الزفاف ، في صباح هذا اليوم استيقظت من نومها مبكرا وبرغم مرضها وضعفها وأنها أصبحت هزيله الجسد مثل أوراق الشجر الذابلة ، قامت من علي فراشها وذهبت إلى المطبخ مثلما كانت تفعل لتعد الأفطار لأبيها كما اعتاد أن تفعل في الماضي ولكن هذا اليوم لم يكن مثل أي يوم مضي عليه ، فهذا اليوم هو اليوم الأخير لها في المنزل فقد أخذت قرارها هي الأخرى ، قالت لنفسها أنها سوف تخرج من هذا المنزل ولن تعود إليه مطلقا مهما فعل بها الزمن لن ترجع إليه إلا ضيفه مثل أي أحد غريب ، حلفت أن لا تتذوق به أي طعام بعد هذا اليوم ومر النهار كله ولم يتغير به أي شئ غير أنه آن الأوان لرحيل مني منه .

دخلت غرفتها لتجهز نفسها وترتدي فستان الزفاف وهي تعتقد أنها ترتدي كفنها ، جاءت بالفستان ووضعته علي سريرها وجهزت كل محتويات الزينه وتزينت بذهبها كله ، لكنها لم تخرج شحنة الغضب من داخلها ، قامت وأتت بورقة وقلم وجلست علي حرف السرير تكتب خطابا لأبيها ولكنها لاتعلم من أين تبدأ وماذا تكتب ، كتبت له بعض من الخواطر التي هاجمت عقلها وتفكيرها ، وماتشعر به وراودتها نفسها بهذه الخواطر وكلمات كان يتأجج بها قلبها ، كلمات كثيرة ، كتبت في آخر الخطاب إمضاء (قاتلة أبيها) كأنها تريد أن تعذبه مثلما عذبها ، بعد أن أنهته أغلقت الخطاب وأغلقت معه كل ذكرياتها الجميلة مع أبيها في هذا المنزل الذي كان كل عالمها ولم تعرف أو تعيش في عالم غيره ، وجاءت ابنة عمها التي تكبرها بعشرة سنوات ولم تتزوج بعد لتزينها وتلبسها ثوب الزفاف والطرحة ، وقفت مني تنظر لبنت عمها واصدقاء ابنة عمها ومنهم المتزوجة ومنهم التي لم تتزوج بعد وهم يتساءلون بينهم

خلسه ، لماذا زوجها أبوها في هذا العمر ؟ ، بعد انتهائها من التزين نادت أخيها الأصغر ياسين وقبلته وأعطته الخطاب وطلبت ألا يعطيه لأبيه إلا في صباح الغد فسمع كلامها وذهب يخبئ الخطاب في غرفته حتي لايراه أحد مثلما طلبت منه أخته ، ذهبت وأكملت لبس الطرحة والشعر منساب علي ظهرها والكحل رسم العيون والأحمر رسم الشفاه والخدود والرموش الطويله وبعد أن أنهت زينتها وأصبحت ملكة متوجة .

ذهبت إبنة عمها لتنادي علي عمها ليأخذ العروس ليسلمها إلى عريسها فدخل الأب الغرفه وهو يقدم قدم ويؤخر الأخري ، لأنه يعلم جيدا أنه لم يقدر علي رؤيتها في هذا المنظر لكنه حاول أن يتماسك ، دخل الغرفه ونظر إليها وهي مثل الملكة فوجدها وهي تبتسم وتضحك بصوت علي لمن معها بالغرفة كأنها تبكي من أعماق قلبها ، عندما نظرت له بعيونها اللامعة الساحرة ، ابتسم وقال تبارك الخلاق سبحان من خلق فسوى ، إبتسمت له وعيونها دامعة وقلبها يتمزق ، اقترب منها بخطوات بطيئة وكأنه خائف منها كان يرغب أن يأخذها بين ذراعه ويقبلها من جبينها وعندما اقترب منها وقف أمامها ونظر في عينيها فتساقطت دموعها ونظرت له فوجدته يمسح دموعه وفرد ذراعيه ليضمها إلى حضنه ولكنها تراجعت إلى الوراء بخطوات مسرعة ، كأنها تقول له لقد حرمتني من حضنك وأنا سوف أحرمك من حضني .

قالت منى : إبتعد عني لا أريد منك شفقه ولا عطف . فبكي الأب بكاءا شديدا وأبكي كل من كان معها في الغرفة ، أما هي فمسحت دموعها وابتسمت وكأنها تقول له أنا لا أصدق هذه الدموع وتركته واقف وذهبت نحو الباب ووقفت حتي هدأ وتماسك .

نظرت منى لأبيها وقالت : لقد آن أوان رحيلي لنذهب .

ذهب إليها الأب ليمسك يدها ويسلمها لزوجها ، لكنها رفضت أن تمسك يده ، ذهبت معه وهي تسير بجواره وخرج من الغرفه ووقفا بجوار بعض إلى ان جاء علاء وأخذها وذهب وهي تسير أمامه ، التفتت برأسها نحو أبيها ونظرت له نظرة لوم وعتاب علي مافعله بها ، وظل واقفا خلفها ولم يرغب في ان يذهب خلفها ليودعها وعيناه ترمقه إلى أن اختفت من أمامه .

خرجت مني من منزل أبيها إلى الأبد ولكنها لم تخرج مني الطفلة الجميلة البريئة التي كانت تسكن بداخلها الحيوية والطاقة والنشاط والمرح ، كل هذا تركته عند آخر خطوه عند باب منزل أبيها وهي ذاهبه ، خرجت مني وفي قرارة نفسها أنها لن تعود إلى هذا المنزل وأن تتحمل حياتها الجديدة مهما كانت صعبة ، لأنها لا تحتمل الفشل أو الخسارة .

قررت أن تحقق بإرادتها القوية كل أحلامها مهما حدث .

ذهبت مع زوجها إلى الكوشة التي أعدها أبيها للإحتفال بعرسها ، لكنها لم ترغب أن تجلس في هذه الكوشة .

قالت منى : علاء أريد أن أذهب إلى المنزل ، أخذها إلى منزله وأوصلها إلى غرفتها ، وذهب هو يرحب بضيوفه ومدعويه وأصدقائه ، بعد خروجه من الغرفة جلست مني علي المقعد الذي أمام المرآة وظلت تنظر لنفسها وتنظر للتغيرات التي طرأت علي وجهها ، تقول أنها لاتعرف من هذه السيدة هل هذه طفلة في عمر

الثالثة عشر عاما أم أنها سيدة عمرها الثلاثة والعشرين عام ؟ ظلت تبكي من خوفها من كل شئ .

بعد انتهاء الحفل عاد إليها علاء فوجدها أغلقت الباب ، دق الباب وقال لها : يامني إفتحي الباب .

قالت منى : لماذا ؟

قال علاء : أريد ان أبدل ملابسي وأنام .

قالت منى : إذهب ونام في أي مكان ، لن أفتح هذا الباب إلى أن أموت ، فقد قررت أن تحارب كل من حكم علي طفولتها بالموت وكان أول من تحاربه هو زوجها .

ظل علاء واقفا أمام الغرفة يدق الباب بصوت عالي وكاد أن يكسر الباب ، لكنها تماسكت ولم تفتح له .

سمعت أم علاء الضجيج فجاءت ودقت باب الشقه ، ذهب علاء وفتح لها الباب .

سألت الأم :علاء ما الأمر ؟

قال علاء : ماحدث بينه وبين منى .

قالت الأم : أتركها ياولدي ونام في الغرفة الأخري فهي ما زالت طفلة لا تدرك شئ فهي خائفة أتركها اليوم حتي تهدأ .

سمع علاء كلام أمه وذهب إلى الغرفه المجاورة لغرفة نومها ونام بها ، هي الأخري نامت من شدة تعبها وهي مازلت ترتدي ثوب الزفاف .

في الصباح قام علاء عند صلاة الفجر دق عليها الباب ليوقظها ، قال لها أن الأهل والأقارب سوف يأتون في الصباح حتي يهنؤننا بالزواج فاستعدي حتي تقابليهم معي .

قالت منى : سوف أستعد ، وبالفعل قامت مني ، شرعت لصلاة الفجر واستعدت وإرتدت ثوبا جديدا ، ولكنها لم تفتح باب الغرفة حتي وصل المهنئين ، خرجت مني وقابلت الناس معه وهي تبتسم وتضحك حتي لا يلاحظ أحد شئ ، فابتسم علاء وفرح عندما رآها تبتتسم وتضحك ظن أنها أصبحت بخير وعلي مايرام وقد هدأت ، لكن عندما ذهب الناس ومع آخر رجل خرج من باب شقتها تركت علاء يودعه وذهبت مسرعة إلي غرفتها وأغلقت الباب بقوة بالمفتاح مرة أخري وظل هذا الأمر أياما وأسابيعا ، لاتخرج من غرفتها إلا إذا تأكدت أنه خارج الشقة .

ظل علاء يأتي لها بالطعام ويضعه وراء الباب ويدق عليها الباب لتخرج تأخذ الطعام وإذا أراد أن تفتح له الباب تقوم بالصراخ والبكاء وتهديده أنها سوف تقتل نفسها ، فيخاف أن تفعل في نفسها شيئا ، فيذهب بعيدا عنها ويخرج إلى أمه ويشتكي لها كل يوم وهي تقول له أصبر عليها أنها صغيرة ، ومر علي هذا الحال شهران كاملان وهي لايرق قلبها لحال زوجها .

كان الباب المغلق يزيد علاء شوقا لها ولهفة وكادت رغبته تتزايد يوم وراء يوم ، قال أن الأمر زاد عن حده فذهب إلى أبيها وإشتكاها له وقال له كل شئ .

صعق الأب من كلام علاء ، قال له أنا أعتقد أن الأمور بخير بينكم .

قال علاء : هي أغلقت علي نفسها الغرفه من يوم الزفاف .

قال الأب : إذهب يابني وأنا سوف أذهب لها وأتحدث معها ، ذهب علاء من عند الأب وكله أمل أن والدها سوف يتحدث معها ويجبرها علي أن تفتح باب الغرفه وتقبله زوجا .

بعد خروج علاء ذرفت عين الحاج محمد بالدموع ، جلس محتارا في أمره ، قال لنفسه أنه يعرف ابنته جيدا ، لن تتقبل الوضع ولن تقبل به زوجا مهما حدث فلا أحد يقدر علي أن يقنعها بشئ هي لم تقتنع به ، فظل في حيرة من أمره ولم يقدر علي أن يواجهها أو يتحدث معها في أي شئ ، جلس يفكر ماذا يفعل ولكن الله هداه إلى أن يذهب لصديقه الشيخ حسن ، هو الوحيد الذي يقدر علي إقناعها ، فهي تحبه وتحترمه وتنفذ كلامه دون تفكير ولا ترفض له طلبا طيلة حياتها ، أسرع إلى غرفته وارتدي ملابسه وخرج مسرعا متجها إلى الشيخ حسن .

كان يسير شارد الفكر ، شاحب الوجه ، لا يري أحدا أمامه ولا يسمع أحدا كأنه تائه ، كل من يراه يقول له السلام عليك ياحاج محمد لكنه لم يسمع أحد ، وكل من يراه يستغرب حاله وهو يواصل السير ، وكأنه تائه وكأن البيت أصبح بعيدا جدا فالطريق أصبح طويلا جدا وعندما وصل إلى المنزل ، دق الباب ، فتح له صديقه

فدخل دون أن يأذن له بالدخول ، استغرب الشيخ حسن من دخول صديقه فهو يعلم أنه برغم أنهم إخوه وأصدقاء طفوله لايدخل منزله دون استئذان ، فدخل مسرعا إلى غرفة المكتب وجلس علي أقرب مقعد أمامه وكأنه جاء من سفر بعيد أو أنه تعب من طول الطريق .

دخل الشيخ حسن خلفه وظل يتلفت يمينا ويسارا وينظر إلى سقف الغرفة ويداعب الكتب التي أمامه وهو فاقد التركيز ، شارد الفكر، ينظر له الشيخ حسن وهو في حاله استغراب تام فهو يري صديقه لأول مرة بهذه الحاله ، ينظر الشيخ إلى صديقه وهو متعجب لما به ، يحدث نفسه هو الآخر هذه ليست عادته ، يقول لنفسه أن صديقي متوتر وهناك شئ يؤرقه ، جلس الشيخ أيضا أمام صديقه وهو صامت لايتحدث ولايرغب أن يتحدث معه ويسأله ماذا به ، ولكنه ظل منتظرا أن يخبره صديقه مابه ، كان قلقا علي صديقه قلقا شديدا ، لكن الصمت الذي يكمن داخل الحاج محمد يزيده دهشه وإستغراب ، فهو يشعر أن صديقه بداخله بركان من الألم .

انتظر الشيخ كثيرا جدا والحاج محمد لم ينطق بكلمه واحده، كأنه ذهب لصديقه ليُسمعه صمته ، لكن الشيخ حسن لم يستطع أن يصبر أكثر من ذلك .

قام الشيخ حسن وجلس أمامه علي الأرض وهو مرتكزعلي ركبتيه ، ظل ينظر إلى صديقه فوجد في عينيه دمعة حائرة تتراقص بين جفونه لم تستطيع السقوط ، فسأله مابك ياصديقي ؟ قل يا أخي قلبي ينفطر من الألم عليك لم أرك هكذا مطلقا ، قل يا أخي مابك أرجوك قل لا تخبئ عني شيئا .

نظر إليه الحاج محمد وتنهد تنهيده كبيييييييره كادت أن تمزق صدره .

قال الحاج محمد : لا أعلم ياأخي من أين أبدأ لك الكلام ، فرد ذراعيه وأمسك بكتفي صديقه وقال انهض يا أخي من الأرض هيا نجلس علي الأريكة هذه وسوف أقص عليك كل ما حدث .

بدأ الحاج محمد الحديث ولكنه مازال محتارا من أين يبدأ ، القلق يمزق صدر الشيخ حسن علي صديقه ، لكنه سأله هل أنت مريض ؟

قال محمد : لا .

قال الشيخ : هل انت محتاج إلى مال ؟ تكلم إذن ،هل أنت في مأزق ؟ تكلم يا أخي أتوسل إليك تكلم .

قال الحاج محمد : هدئ من روعك ياصديقي ، الأمر يخص مني .

قال الشيخ حسن : مني حبيبتي كيف حالها ؟ هل هي بخير ؟ وما هي المشكله التي تخصها ؟

قال الحاج محمد : إصبر يا أخي سوف أقص عليك كل شئ .

لكن الشيخ حسن عندما سمع إسم مني تذكر كل شئ ، قال له هل تتذكر مني يا أخي كيف كانت تتفاني في إسعادك وتلبية طلباتك ، أتعلم يا أخي كنت دائما وأبدا أفكر في اليوم الذي تتركك فيه منى ، لماذا إستعجلت علي زواجها يأخي ؟ أنا لم أستوعب

ماحدث ، كيف استطعت أن تبتعد عنها وأن تزوجها في هذا العمر الصغير ؟ كنت أظن أنك لن تتحمل غيابها عنك ، فأنا لم أقدر علي إستيعاب الموضوع ، فأنت لم تقص لي ماحدث ولماذا استعجلت علي زواجها ؟ هل تعلم أني كنت أفكر ألف مره قبل أن أتحدث إليك لطلب خطبتها لإبني أشرف ، لكني خفت من فتح هذا الموضوع معك قلت لنفسي أنك سوف تقول أنها صغيرة ، وقلت سوف أنتظر حتي يتخرج إبني فى كلية الهندسة ويستلم عمل تكون مني قد وصلت لسن الزواج ، لكني تعجبت عندما سمعت أنك سوف تزوجها لرجل يكبرها بسبعة عشر عام ، لماذا يا أخي فعلت بنا هذا ؟ أنت كنت تعلم أني أرغب في زواجها من إبني أنه يحبها كثيرا وأنت تعلم ذلك ، أشرف من يوم زواج مني وهو زاهد الدنيا والحياة ، فقد شهيته للطعام والشراب ولا يتكلم مع أحد ، يخرج إلى المسجد يصلي ويعود إلى غرفته ويغلق الباب وراءه ولايخرج مطلقا .

ظل الشيخ حسن يتكلم عن مني دون توقف ولم يعط للحاج محمد فرصه للكلام وكأنه كان منتظرا أن يفتح معه الحديث ليخرج مابداخله في كلمات عتاب لصديقه ، وظل يقول له لماذا يا أخي جنيت عليها ، فقد كانت تحبك أكثر من نفسها بل أنت نفسها التي تحيا بها في هذا العالم .

كان كلام الشيخ حسن مثل السكين الذي يمزق قلب الحاج محمد ، وهو يسمع صديقه وينظر له وعيناه تتساقط منها الدموع وكأنها ينابيع من الماء ، وعندما رآه صديقه يبكي فصمت عن الحديث وقال له هل تبكي يا أخي ؟ وماذا يبكيك ؟

قال الحاج محمد أبكي علي مني وشأن مني ، قال له أنت تعلم أنها عنيدة وتعلم أنها لاتسمع كلام أحد غيرك .

قال الشيخ حسن : نعم أعلم هذا ولكن ماهو الموضوع تحدث يا أخي أتوسل اليك ، قلبي كاد أن تتوقف نبضاته من القلق عليك أنت ومني تحدث يا أخي لقد نفذ صبري .

قال الحاج محمد سوف أقص عليك كل شئ حتي هذه اللحظة التي أنفطر قلبي عليها وعلي شأنها ، فقص كل شئ لصديقه عن موضوع زواج مني وسبب زواجها ، يتحدث وهو يبكي وترتعش يداه وقدماه من شدة الألم الذي بداخله من كثرة حزنه وكيف تخلي عنها بهذه السهولة .

ظل الحاج محمد يحكي والشيخ حسن يستمع وهو يستغرب ويتعجب ، يقول لصديقه هل يوجد في الكون أب بهذه القسوه ، فقال له لو لم أكن أعرفك جيدا لقلت قد أصابك الجنون ياصديقي .

قال الحاج محمد : هذا ماحدث .

قال الشيخ حسن : هل هانت عليك ابنتك ؟ لتفعل بها مافعلت لكي تبر بقسم ، اللهم إني لا أسالك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه ، لماذا لم تخبرني قبل ذلك ؟

قال الحاج محمد : علي كل حال لقد حدث ما حدث وأفوض أمري إلى الله ، أريدك أن تذهب إليها لتتحدث معها وتحاول إقناعها وتقول لها أن هذا قدرها ولابد أن تتقبله .

قال الشيخ حسن : لا ، هذا أمر صعب علي ، لا أقدر أن أتحمل أن أراها وهي مكسورة هكذا .

قال الحاج محمد : هي تحبك كثيرا ولا تسمع حديث أحد غيرك .

قال الشيخ حسن : لماذا لا تذهب أنت وتقول ماتريده ، أنت من فعل بها هذا ، أنت الذي تقدر علي إرغامها علي أن تفرط في نفسها لشخص لم ترغب فيه مثلما فعلت قبل سابق ، لو كانت فتاة غير مني لذهبت إليها لكني أعلم ابنتك جيدا وأعلم أنها عنيدة ومتصلبة الرأي مثلك يا أخي ، أنت تعلم ابنتك جيدا ، أكثر مني وتعلم أنه صعب إقناعها .

قال الحاج محمد : كيف أذهب يا أخي ؟ أنا لم أرها من يوم زفافها لن أحتمل نظراتها فهي كالخناجر والسهام التي تمزق الوجدان ، أنت تعلم أن منزل زوجها أمام منزلي كنت أفرش في الليل وأنام تحت نافذة غرفتها كل ليلة حتي يؤذن الفجر وأستيقظ وأصلي الفجر وأرجع أجلس تحت نافذتها حتي الصباح لأسمع صوتها أو أرى وجهها وهي تنظر من النافذة ، لكنها لم تفتح نافذتها ولم تنظر منها أبدا من يوم زواجها ، برغم علمها أني أبيت كل ليلة تحت نافذتها ، كأنها تقول لي سوف أحرمك من طيفي والنظر إليّ كما حرمتني منك ، ظل يبكي وهو يتكلم ، كأنه يبكي له وللزمان .

بكي الشيخ حسن أيضا علي بكاء صديقه وأحس بوجعه وتعاطف معه بالرغم من تحفظه علي مافعله ، وقال له والحزن يشق صدره هذا قدرك يا أخي وقدرها ، سأذهب لها لعل الله يساعدني علي ما أفعله مع مني ، لعل الله يُحدث أمرا كان مفعولا ، سأذهب لها في الغد أتحدث معها ولعله خير بإذن الله تعالي ، أطمئن سوف أفعل مابوسعي لأشرح لها موقفك وأجعلها تتقبل ذلك ،

فاطمأن الحاج محمد بعدما قص وأخرج كل ما بجعبته ، واطمأن أكثر عندما قال له صديقه أنه سوف يذهب إلى مني في مساء الغد .

نهض الحاج محمد ، فسأله صديقه إلى أين أنت ذاهب يا أخي ؟!

قال الحاج محمد : سوف أذهب إلي المنزل .

فقال الشيخ حسن : إجلس معي ، سوف يأتون بالعشاء نتناوله معا .

قال الحاج محمد : لا لا أريد يا أخي سوف أذهب لعل الله ينعم علي وأخلد إلى النوم ، وطلب من صديقه أن يأتي له بعد خروجه من منزل مني ، وخرج الحاج محمد .

ذهب الشيخ حسن ليطمئن علي حال إبنه أشرف ، فدق الباب علي أشرف فعندما سمع أشرف أن والده هو الذي خلف الباب قام مهرولا من فراشه وفتح الباب لأبيه ، دخل معه وجلسا سويا علي السرير فسأله ابوه كيف حالك يابني؟

قال أشرف : الحمد لله يا أبي .

سأل أشرف والده : كنت أسمع صوت عمي محمد هنا .

قال الشيخ حسن : نعم يابني ، هو جاء في أمر مهم جدا .

سأل أشرف : ماهو يا أبي ؟

قال الشيخ حسن : لا شئ يابني ، لاتفكر في الأمر كثيرا .

قال اشرف : كيف يا أبي ؟ أني اتمزق من داخلي .

شرد الشيخ حسن عندما سمع هذا الكلام من إبنه ثم قال : أنت تتمزق ، ومني تتمزق ، وصديقي يتمزق ، وانا اتمزق بينكم جميعا ، صمت بعد أن انتبه أن اشرف سمع الكلام ، نظر لأشرف فوجده صامتا وفي عينيه كلام كثير واستفسارات وأسئلة تحتاج أجوبة ، نهض مسرعا من جوار إبنه وخرج من الغرفه دون أن يريح قلب إبنه ، ذهب إلى غرفة نومه لينام ، لكن هجر النوم جفونه وظل يتقلب يمينا ويسارا فقد جافاه النوم حتى سمع ابتهالات وتواشيح الفجر ، نهض من على فراشه واتجه للمسجد لصلاة الفجر ، وبعد خروجه من المسجد اتجه إلى النهر وجلس على ضفافه ليفكر في مناخ هادئ كيف يبدأ الحديث مع منى ، فقد كلف بمهمة لا يحسد عليها وبعد شروق الشمس عاد إلى المنزل .

قبل ذهابه إلى مني جلس الشيخ حسن في مكتبه ليفكر فيما يفعله مع مني وماذا يقول لها ومن أي باب يدخل لقلبها فجاءت له ابنته بالإفطار فرفضه ، فهو لايريد الطعام وجاءت له بالعصير فرفضه وقال لها إذهبي ولا تجعلي أحدا يدخل علي مرة ثانية .

خرجت كريمة ابنته وهي في حيره من أمر أبيها فهي لا تراه هكذا مطلقا ، ومن شدة قلقها على والدها ذهبت لوالدتها وأبلغتها عن حال أبيها .

قالت الأم : سوف أذهب لأعرف ماذا به هو متغير منذ قدوم عمك الحاج محمد ولم يخلد للنوم حتي ذهب إلي صلاة الفجر وبعد

عودته دخل مباشرة إلي مكتبه علي كل حال سوف أذهب وأعرف منه ما يؤرقه .

ذهبت الحاجه أم اشرف إلى زوجها الشيخ حسن لتعرف ما به ودقت الباب .

قال لها : تفضلي يا أم أشرف فسألته عن حاله .

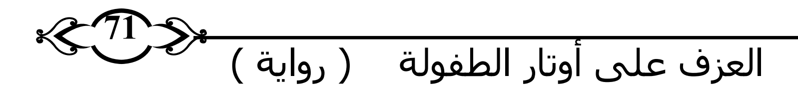
قال الشيخ حسن : أنا بخير فليطمئن قلبك ، لكن أنا أفكر في أمر هام أدعو الله أن يعينني عليه .

قرر الشيخ حسن أن يذهب لصلاة العصر في المسجد المجاور لمنزل صديقه ومنزل مني أيضا ، دخل الشيخ المسجد وهو يشرع في صلاته ويعتدل الصفوف نظر بجواره إذا به يجد علاء زوج مني يقف ويستعد للصلاة.

بعد الصلاة سلم على علاء وهنأه بالزواج وطلب منه أن يذهب ليرى منى بما أن المسجد بجوار المنزل ، فعلاء يعلم أن الشيخ حسن يعتبر مني مثل ابنته وهي أيضا تحترمه مثل أبيها ، فرحب بذلك لعل رؤيتها له يدخل علي قلبها السعادة التي تفتقدها منذ وقت زفافها ، وذهبا معا .

في الطريق ظل يسأله ويقول له : ما أخبار منى فيجيب علاء قائلا : بخير الحمد لله ستسعد منى برؤيتك ، لكن الشيخ حسن كان يسأله لغرض ما في نفس يعقوب ، لكن علاء لم يقل له شيء غير أنها بخير والحمد لله ، وبعد أن وصل إلى باب المنزل .

قال الشيخ : إذهب وبلغ أهل المنزل بقدومي وأذن لي بالدخول



سمع الحاج محمد صوت صديقه وهو يتكلم مع علاء ، أخذ يدعو الله أن يوفقه في إقناع منى بالوضع الجديد .

أذن علاء للشيخ بالدخول ، دخل الشيخ وصعد مسرعا علي السلم المؤدي لشقة مني ، عند وصوله لباب الشقة وقف يلتقط أنفاسه وبعد أن استراح قليلا دق الباب ففتحت مني الباب ونظرت إلى عمها الشيخ ووجدت نفسها تبكي وألقت نفسها بين ذراعيه وكأنها تلقي همومها بين أحضانه بدون إرادتها وكأنها تشتكو حالها بدموعها ، نظر لها الشيخ حسن وتأثر بدموعها فهو يعلم مابها ودخل علاء معهم إلى غرفة الجلوس وبعد أن جلس بعض دقائق وهي تبكي ولا تستطيع الحديث .

استأذن الشيخ حسن من علاء أن يتركهم بعض من الوقت ، وافق علاء وقال له البيت بيتك ، وترك لهم الغرفه وخرج يعمل له فنجان من القهوة ، وبعد خروج علاء سأل مني عن حالها ، لكنها لم تستطع الحديث فهي تنظر له فقط وعيونها تنهمر منها الدموع وكأنها شلالات من الماء .

قال الشيخ حسن : إهدئي يا ابنتي وقصي علي مابك فأخذت تتحدث بكلمات غير مفهومة وبهستريا شديدة ، لكنه لم يفهم منها أي كلمة ، ظل يهدئها وهي لاتهدأ فبكي لبكائها ، تمزق قلبه علي حالها لقد تغيرت مني قلبا وقالبا ، لقد أصبحت نحيفة جدا وهذيلة ووجهها إنطفأت منه الإشراقة وكأنها ذهبت مع ضحكاتها التي ذهبت بلا عودة ، يحدث نفسه ويقول أين الضحك والمرح والشقاوة ، جلس يتحسر بداخله علي مايراه فهو ينظر إلى الوجه الذي كان مثل القمر أصبح شاحبا ولونه أصفر والعيون الساحرة أصبحت متورمة وحزينة من كثرة البكاء و أصبح قلبها يسكنه الألم والحزن

وكأنه بيت العنكبوت ، يقول ماذا فعلت ياصديقي بهذه الزهرة التي كادت أن تتفتح وتملأ الكون بعبيرها ولونها الجميل ؟ ، لكنك قطفتها قبل أوانها بكثيييييييييييييييير .

قال الشيخ حسن : إهدئى يا ابنتي سوف أتحدث معك في موضوع هام قبل قدوم علاء ، صمتت عن الحديث ولكنها لم تستطع أن تتوقف عن البكاء ، أخذت تستمع له وعيونها لم تقدر علي الصمت فظل الدمع ينهمر من عينيها دون إرادتها .

قال الشيخ حسن : أنا أعلم كل شئ ياصغيرتي ، لقد قص علي والدك كل شئ أريدك يا ابنتي أن تعلمي أن هذا قدرك وهذا ماكتبه الله لك وأن الله لا يكتب إلا كل خير لعباده ، فهو ياحبيبتي يسبب الأسباب ليحدث مايريد الله وأبوك كان سببا فقط لتنفيذ مشيئة الله وقدره ، فاقبلي به يا ابنتي لعل الله قدر لك الخير بزواجك هذا تقبلي زوجك يا ابنتي حتي تستريحي من عذابك هذا وارضِ بقضاء الله وقدره ، وتقبلي حياتك الجديدة وارض بنصيبك ، فهذا نصيبك من الدنيا ، يقول هذا الكلام وهي صامته لا تتكلم وهو ينظر لها وقلبه يتمزق ، لكنه ليس أمامه غير أن يقنعها بحياتها من أجل أن يستريح قلبها ، قال لها أنا أعلم أنك تفهمين كلامي جيدا وأعلم أنك علي قدر عالي من الذكاء .

قالت منى : أنا لا أستطيع رؤيته أمامي فكيف أقبله زوجا ؟

قال الشيخ حسن : هو الأن أصبح زوجك علي كتاب الله وسنة رسوله وأصبح أقرب إليك من أبيك ، وإن لم تتقبليه زوجا سوف يتحدث الناس عنك يا ابنتي وعن أبيك ، يقول هذا وهو يعلم مدي حبها لأبيها وخوفها علي كرامته وسمعته ، ظل يكلمها عن غضب

ربنا علي الزوجة التي لا تطيع زوجها ، وهي تستمع له ، ظل يتكلم عن حقوق الزوج الشرعية وطاعته ، وأن الزوجة التي تعصي زوجها لا تري الجنة ، وظل يتحدث معها بكلام يناسب سنها حتي تتفهم كلامه ويزرع بداخلها أنه لامفر من قضاء الله ، قال لها أنه سوف يكون بجوارها مثل أبيها في أي وقت ، سوف تجديني بجوارك أساندك عندما تكونين علي حق كما تعهدت منك يا ابنتي ، وجلس معها يطمئنها ، يقول لها لعل هذا فيه خيركثير لك يا ابنتي ، ربما يكون كتب الله لك السعادة لا أحد منا يعلم الخير أين يوجد ، ربما سعادتك مع هذا الزوج .

أدركت منى أن سمعة أبيها بين يديها وأن سمعتها أيضا علي المحك ، وأن الأمر سوف يتسع والناس يعلمون ماذا جرى لها ويتحدثون عنها وعن أبيها ، فخافت علي سمعة أبيها علي الرغم من أنه لم يفكر في عذابها ومافعله بها.

قالت منى : سوف أقبل بزواجي وسوف أرضي بقضاء الله وسوف أفعل ماتريده مني وأقبل علاء زوجا لي ، إذهب وطمئن أبي ياشيخنا الجليل ، فاطمأن قلب الشيخ حسن وظن أنه نجح في مهمته ففرح فرحا شديدا وطلب من مني أن تنادي علي زوجها .

نادت مني على زوجها ، فجاء مسرعا فقد كان جالس في الصالة وسمع كل الحوار الذي دار بين مني وعمها الشيخ ففرح وقال أن حياته سوف تستقر وأنه سوف يتزوج ويسعد بزواجه مع زوجته وأوصي علاء بزوجته خيرا فهو لا يجد أحسن منها وقال له أن مني جوهرة ثمينة إقتنيها وحافظ عليها.

خرج الشيخ حسن وتركهما مع بعضهما البعض .

ذهبت مني بعد خروج الشيخ حسن من المنزل مسرعة إلى غرفتها ولكنها وجدت أن علاء قد سبقها داخل الغرفة ومعه مفتاح الغرفة فذهبت مسرعة وجلست في وسط السرير وضمت ركبتيها إلى صدرها وحزمتهما بذراعيها وكأنها تقيد نفسها ففعلت ذلك من شدة خوفها ووضعت وجهها بين ركبتيها ، لم تقل له أن يخرج من غرفتها هذه المرة ، لقد استسلمت لقدرها .

جلس علاء أمامها وهو مبتسم لايصدق نفسه أنه جالس معها دون بكاء أو صراخ وينظر إليها وكأنه يريد أن يفترسها ، كان علاء لايشغل نفسه بحال مني بل كان منشغلا بحاله وبأفكاره تجاه مني ، كيف سيلتهمها ومن أين يبدأ في تقطيع جسد ذبيحته ؟ ومتي سينقض علي فريسته ؟ فسعادته بفريسته أنسته أن يضع في قلبه ثغرة من الشفقة على حال طفلة لم تدرك شيئا .

هي تفكر في نفسها وهو يفكر في نفسه ، هي مرعوبة وهو في قمه سعادته ، لكنها لا تعلم بماذا يفكر زوجها فهي لاتعلم أي شئ عن العلاقة الشرعية التي تقام بين الزوجين ، لم يخبرها أحد عن هذا مطلقا وهي أيضا لاتعلم شئ فهي مازالت طفلة ، ومع شدة ذكاءها لاتعلم غير أن الزواج هومجرد قبلات مثلما كانت تري في الأفلام العربي عندما يقبل البطل البطلة ويحتضنها ، هذا كل ما تعرفه عن الزواج فقالت لنفسها سوف توافق أن يقبلها حتي يذهب بعيدا عنها ويتركها تنام .

عندما أراد علاء أن يلمس يدها قامت بإبعاد يده عنها فأمسك بها عنوة وصفعها علي وجهها وكانت هذه الصفعة ثاني صفعة يأخذها وجهها ، نظرت إليه نظرة احتقار وتذكرت يوم أن صفعها أبوها عندما رفضت أن تجرحه بالسكين ، فهجم عليها مثل الوحوش

التي تريد افتراس فريستها ، ظلت تقاومه وهي مرتجفة ولا تعلم ماذا يريد منها غير أن يقبلها ولكنها حتي القبلة لم تستطع إعطائها إياه ، فأمسك بها ومزق ثيابها الخارجية وظل يحاول أن يلتهمها وهي تحرك رأسها يمينا ويسارا حتى لاتمكنه من نفسها ، فقام بتمزيق ثيابها الداخلية فصارت كما ولدتها أمها ، وراحت تبكي وتصرخ ولا تعلم ماذا يفعل بها ، ظل يصفعها علي وجهها بشده وهي لاتعلم لماذا يصفعها ، ظلت تقاومه وتنظر له وتترجاه أن يبتعد عنها ، لكنه لم يفعل غير أنه اغتصب أنوثتها وبعد إنتهائه من إغتصابها قام ونظر لها بشماته نظر لها نظرة الوحش الذي استطاع إلتهام فريسته ، لكنها لم يتبق في جسدها أي مجهود حتي لتقدر أن تنقلب علي جانبها من شدة الألم الذي بداخلها فوجدت تحتها شئ غريب فوضعت يدها لتشعر مابها فوجدت يدها غارقه فى الدماء ، ظلت تصرخ بشدة ، عندما رآها هذا الوحش هكذا وقف ولم يتحرك لقد صدم ، وظل يسأل نفسه ماذا أصابها لم يعلم أنها قد جرحت جرحا عميقا وبسبب هذا الجرح جاء لها نزيف حاد فكادت أن يتصفي دماءها .

ذهب مسرعا بعد أن أفاق من صدمته وأحضر أمه فجاءت أم علاء ولكنها لم تستوعب ماحدث لمني ، نظرت إليها فوجدتها لاتقدر علي الكلام ودموعها تنزف منها مثل النزيف الذي أصابها .

أم علاء لاتصدق أن إبنها خلت من قلبه الشفقة والرحمة علي هذه الطفلة المسكينة فهي أمه ولكنها في المقام الأول إمرأه وأنثي وتعلم ماشعور المرأة عندما يفعل بها وحش هكذا ولكنها كل ماقالته لإبنها أنت لست ببشر حرام عليك ، لماذا فعلت بها هذا ؟ وقامت ببسط الغطاء على جسد منى ثم أخذتها في حضنها وظلت تبكي من

أجلها وتقول لها إطمئني يا ابنتي وطلبت من إبنها أن يتصل بالإسعاف فورا لإنها سوف تموت منهم ، إذهب بسرعة .

ذهب علاء ليتصل بالإسعاف ، فرآه الحاج محمد وهو يخرج مسرعا .

سأله الحاج محمد : إلى أين أنت ذاهب في مثل هذا الوقت؟

لم يعره اهتماما وذهب مسرعا إلى السنترال ولم يتصل من تليفون والد مني كما اعتاد .

فشعر الحاج محمد بألم شديد في قلبه وصدره ، فذهب مسرعا إلى بيت مني وطرق الباب مسرعا وفتحه ولم يستأذن بالدخول ولم ينادي علي أحد وصعد علي السلم مهرولا إلى شقة ابنته فوجد أهل المنزل جميعا بجوارها يبكون ، نظر إلى ابنته فوجدها مثل الذبيحة ملقاة علي السرير والدماء تسقي السرير وكل مفروشاته وتغطيه .

وقف الحاج محمد يلملم أعصابه ولم يسأل مابها ، فنظر لها فوجدها صامتة وتنظر بنظرة الذبيحة الملقاه علي الرماد منتظرة سلخ جلدها ، تنظر إليه ودموعها تنهمر مثل النهر وكأنها تقول له أنظر مافعلته بي ، أسرع إليها وحملها بين ذراعيه دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، ذهب مسرعا إلى سيارته ، وضعها بجواره في المقعد الأمامي وجاء ليقود السيارة فلم يستطع ، كأنه نسي كيف يقود السيارة من هول الصدمة ، فنظر إلى حال إبنته وأنه سوف يفقد إبنته فاستفاق لنفسه حتي ينقذها ، قاد السيارة وذهب بأقصى سرعة إلى مستشفي خاصة يمتلكها الدكتور مازن جارهم ، كان يتمني لو أنها تطير حتي يطمئن قلبه على منى وأخذ ينظر إلى منى

خلسة وهو يقود فوجدها تنظر إليه ، كأن عيونها تقول له أنت من ذبحني لا زوجي ، لكنه تهرب من عينيها ولم يطاوعه قلبه ، نظر لها ثانية فوجدها نائمه فهي أغلقت عيناها حتي لا تري أبيها وهو يشعر بذنبها وسمعته وهو يتمتم بكلمات وبصوت منخفض وهو يقول لها سامحيني يا صغيرتي أنا سبب كل هذا الألم الذي تتألمينه وظل يبكي حتي وصل إلى المشفى القريبة من منزله وأوقف السيارة وذهب مسرعا وفتح السيارة بقوه وحملها فوجد أنها تتنفس بصعوبة فتأكد أن ابنته تحتضر فصرخ بأعلى صوته على الطبيب وعلى أي أحد يقدر على مساعدة ابنته ، فجاء العاملون بالمشفى ومعهم الترولى وحملوها عليه وذهبوا مسرعين إلى داخل المشفى

قال أحدهم أن الدكتور مازن هو الذي يقف عند كنتر التمريض فنادى عليه الحاج محمد ، أتي الدكتور مازن إليه وعندما رأى مني تنزف بغزارة ، قام بفحصها ولكنه لا يصدق ماتنظر له عيناه فنهرهم بقوه ، قائلا إذهبوا بها بسرعة إلى غرفة العمليات إنها تحتضر فأراد والدها الدخول معها إلى غرفة العمليات ولكن الدكتور مازن رفض وطلب نقل دم لها ، أسرع الأب وقال لهم خذوا مني الدم خذوا حياتي التي لاقيمة لها بدونها فارتكز علي ركبتيه يتوسل الدكتور مازن لإنقاذها ، تعاطف الطبيب مع الأب وأمسك بيده ورفعه من علي الأرض وأخذه في يده وهو ذاهب إلى غرفة العمليات وعقمه جيدا ووضعه بجوار مني حتي يأخذ منه دم مباشر بعد أن تأكد أن فصيلتهم واحدة .

ظل الأب ينظر إلى ابنته وهي مستسلمة للموت ودموعه لم تجف مطلقا .

قام الطبيب بإجراء العملية لمني ، عندما انتهي من العملية أخذوا مني إلى غرفة الإفاقه ، لكن حدث مالا يحمد عقباه ، فوجدها لا تفيق وتهرب من الحياة إلى الموت .

دخلت مني في غيبوبة فأمر الدكتور مازن أن تظل في غرفة الإفاقة ، خرج بعدها إلى مكتبه وهو حزين على حال هذه الطفلة ، هو لا يعلم ما أصابها ومن فعل بها هذا ؟! هل هو زوجها ؟! فقد حضر زفافها منذ شهرين ، أم أن أحدا قد إغتصبها بوحشية ، لكنه قال ربما أحد إغتصبها ، زاد استغرابه أكثر عندما رأي لهفة والدها فأراد معرفة الحقيقة لإنه يريد إبلاغ الشرطة عن حالة مني ، الوقت لم يكن مناسبا عند قدوم والدها بها لانه رأي أن الأهم إنقاذها أولا ، أرسل أحدا ليستدعي الحاج محمد ، فذهبت الممرضة إلى الغرفة التي حجزت لمني لتستدعي الحاج محمد ، فوجدته واقفا أمامها يسأل الله أن تتعافي ابنته ودموعه مثل شلال الماء ، قالت الممرضة أن الدكتور مازن يريدك في غرفة مكتبه .

قال الحاج محمد : إذهبي وأنا قادم خلفك ، فذهبت الممرضة ، جلس الحاج محمد قليلا يفكر ماذا يريد منه الطبيب ، يقول ربما يريد حساب المشفي ، يقول لنفسه أنا أعطيه أكثر مما يطلب المهم إن ابنتي تصبح بخير وترد لها عافيتها ، وسوف أذبح عجل لوجه الله بعد خروجها من المشفي ، ذهب مسرعا إلى مكتب الطبيب ودق الباب ، فأذن له الدكتور مازن بالدخول ، فدخل واقترب فأجلسه فنظر إلى وجهه فوجده شاحبا وخائفا .

قال الحاج محمد : أخبرني يادكتور ماذا تريد ؟ .

قال الطبيب : إهدأ ياحاج وإصبر سوف أخبرك ولكن الدكتور مازن متردد كيف يبلغه الخبر لا يعلم .

قال الحاج : هل تريد حساب المشفي ؟ لاتخف أنت تعرف من أنا سوف أعطيك أكثر مما تطلب ولكن أرجوك طمئني علي ابنتي .

لم يجد الدكتور مازن أمامه غير أن يقول له الحقيقه فقال له أن ابنتك رافضه أن تعود للحياة فهي الآن في غيبوبه كامله ، لابد من وضعها في غرفة عناية مركزة ونحن لا نقدر علي فعل أي شئ لها فهي الآن بين يدي الله ،هو أرحم بها ، أدع لها أن تفيق بسرعة من غيبوبتها لا نملك غير الدعاء لها ، أنا سوف أرسلك إلى مشفي مجهزه بغرفة عناية لأن هذه المشفي ليس بها مكان في غرفة العناية .

وقع الأب مغشي عليه بعد سماع كلام الدكتور مازن .

أسرع الدكتور ونادى التمريض ليساعدوه في حمله من علي الأرض ووضعه على أريكة في المكتب وأعطاه حقنة ، وبعدها أفاق الحاج محمد .

جلس الحاج محمد يبكي بعد أن أفاق ، يقول أنا السبب في كل شئ وفي كل الألم والوجع الذي تمر به ابنتي ، سمعة الدكتور مازن وهو يتهم نفسه ويقول أنه السبب لما حدث لابنته .

سأله الدكتور مازن : كيف تكون أنت السبب ؟ وفي عينيك كل اللهفه والخوف والحب لابنتك ، استغرب الطبيب لسماع هذا الكلام من أبيها .

أرجوك جاوبني حتي أقدر أن أساعدها ، وقل كيف تكون أنت السبب فقد رأيتك وأنت منهار من الحزن عليها ، تكلم أرجوك ياحاج وقص علي كل شئ حتي أعرف لماذا هي رافضه الحياة ورافضة أن تعود إليها ومخها رافض استيعاب ما حدث لها .

قال الحاج محمد : إجلس سوف أقص عليك كل شئ من أول الأمر حتى مجيئ إلى هنا .

قص الحاج محمد كل شئ وهو يبكي بكاء شديدا ، وكان مازن ينظر ويتعجب ويستغرب وينتابه حيرة شديدة .

قال مازن : أي أب أنت هل أنت إنسان عاقل ، لماذا فعلت هذا بطفلة ؟ أنا لا أصدق أنك بعد كل هذا الحب الذي تكنه لإبنتك تكون أنت سبب ذبحها وموتها ، وقال له لو لم أشفق عليها هى لأبلغت عنك الشرطة ، فأنت مكانك في السجن ليس خارجه ، أعلم أنك تعمل في الجيش وأعلم وضعك الإجتماعي وأعلم عائلتك جيدا لكن كل هذا لا يشفع لك عندي لا أقدر علي أن أصدق أنك أب وأنه يوجد بداخلك قلب ينبض .

قال الحاج محمد : أنا كنت أحافظ علي عهدي مع الله .

قال الطبيب : وهل قال لك الله أن تكون سبب في كل هذا العذاب التي مرت به ابنتك ؟ أنت قتلت طفولتها وذبحت أنوثتها وأنا سوف أبلغ عن زوجها الشرطة لابد أن يدخل السجن ، ترجاه الأب ألا يفعل شيئا ويترك كل شئ علي الله هو سوف يدبر كل شئ وظل يبكي بحرقة له وللزمن لا خوف من الشرطة .

هو يعلم أن لا أحد يقدر علي إيذائه ، بل كان يبكي من حزنه علي ابنته وما جرى لها ، لكن الطبيب لم يشفق عليه .

قال الطبيب : إذهب من المشفى ، أنا سوف أنقلها بنفسي إلى المشفى الآخر ولو حدث شئ سوف نبلغك بالهاتف .

رفض الحاج محمد أن يترك المشفى وقال له لن أذهب إلا وهي معي لن أتركها هنا وأذهب من دونها .

قال الدكتور مازن : إنها في غيبوبة ولا أحد يعلم متي ستخرج منها فأنت لا تستحق أن تكون لها أب .

قال الأب : لن أترك المشفى الإ وابنتي معي وخرج مسرعا من غرفة الطبيب إلى غرفة الإفاقه ليري إبنته وهي نائمة على السرير مثل الملاك ، لاهي في الدنيا ولاهي في الآخرة ، بل نائمة لا حول لها ولا قوة معلق لها محاليل ودم ليتغذى جسدها حتي يبقى علي قيد الحياة ، لكن روحها ذهبت من جسدها وهي هائمة في ملكوت الله تسبح في السماء ولا أحد يعلم متي ستعود إلى هذا الجسد المسكين الذي تحمل فوق طاقته .

ظل الحاج محمد ينظر إلى ابنته من خلف الزجاج ، وهو بداخله أمل أن ابنته سوف تقاوم الموت وتعود للحياة ، حضرت عربة الإسعاف ودخل الأب ومعه الدكتور مازن وذهب بها إلى المشفى التي توجد في المدينة ، عندما وصل إلى باب المشفى وقفت العربة ، نزل منها الدكتور مازن وحملوها وذهب بها إلى غرفة العناية ، في طريقهم إلى الغرفه ، وقف الدكتور مازن مع طبيب آخر كان يعرفه وكان صديق له ، كان يعمل معه في الماضي ، طلب منه

أن يهتم بهذه الحاله وأخذه معه إلى غرفة العناية ، لكن حدث شئ غير متوقع .

قال مازن للدكتور وليد : إذهب معي لكي أعرفك على والد المريضة .

قال الدكتور وليد : من هو هل تعرفه هل هو من أقاربك .

قال الدكتور مازن : لا هو من بلدتنا وهو شخصية معروفة ومحبوبة في قريتنا .

قال الدكتور وليد : هيا بنا لنذهب ونرى مريضتك هذه .

ذهب معا إلى الحاج محمد ولكن حدث شئ لأحد يتوقعه ، كأن الظروف كلها تقف ضد هذه الفتاة المسكينة ، عندما نظر الدكتور وليد إلى الأب وقف مصدوما من هول المفاجأة ، نظر إلى الحاج محمد نظرة كلها حزن وشجن وألم شديد وتركه وذهب مسرعا من الغرفة .

تعجب الدكتور مازن وسأل الحاج محمد : هل تعرف الدكتور وليد ؟

قال الحاج محمد : نعم أعرفه من فتره وجيزه .

قال الدكتور مازن : هل يوجد خلاف بينكما؟

قال الحاج محمد : نعم . ولا تسألني ماهو الخلاف فلن أجيب عليك ، أرجوك إبحث لنا عن مشفى آخر نذهب لها .

قال الدكتور مازن : إلى هذا الحد لاتريد أن تراه .!

قال الحاج محمد : نعم لا أستطيع أن أراه مرة ثانية .

قال الدكتور مازن : أستأذنك قليلا ثم أعود لك .

ذهب الدكتور مازن إلى الدكتور وليد ليسأله عن الخلاف الذي بينه وبين الحاج محمد ، وعندما وصل إلى غرفة الدكتور وليد دق الباب فأذن له بالدخول ، فنظر إلى الدكتور وليد فرآه يمسح دموعه بسرعه .

سأل الدكتور مازن وليد : مابك ياصديقي ؟ وما هو الخلاف الذي بينك وبين الحاج محمد ؟

نظر الدكتور وليد إلى الدكتور مازن نظره كلها حزن وتنهد تنهيده طويييييييييييله كادت أن تشق صدره من شدة الحزن وتفطر قلبه ، قال له مازن ألهذا الحد تتألم .

قال وليد : وأكثر من ذلك ياصديقي .

قال مازن : إذن إجلس وقص علي سبب الخلاف .

قال وليد : هل تتذكر مشكلتي وإيقافي عن العمل .

قال الدكتور مازن : نعم أعلم كل هذا ، لكن ما شأن الحاج محمد بهذه المشكلة .

قال وليد :كيف يا أخي ؟ ألم تعلم من بطل المشكلة ومن كان السبب لوقفي عن العمل بضعة أشهر ، والتحقيق معي ، ونقلي إلي هذا المشفى .

نظر له مازن هل تقصد أن سبب المشكله كان الحاج محمد ؟!

قال وليد : نعم هو .

قال الدكتور مازن : والفتاه كانت ابنة الحاج محمد .

قال وليد : نعم هي ابنته وإسمها مني ، فاستغرب مازن على لعبة القدر واستغرب أكثر من الحديث ، قال له هل هي منى التي أحببتها لدرجة أنك كنت ستضحي بمستقبلك من أجلها .

قال الدكتور مازن : هل تعلم من المريضة التي بالغرفة .

قال الدكتور وليد : لا ولا أريد أن أعرف .

قال مازن : إنتظر ياصديقي وإعلم أولا وبعدها قرر ماتريد .

قال الدكتور مازن : المريضة هي منى أنها بين الحياة والموت ، نظر له وليد وقال له كيف ولماذا ؟

قال مازن : لا أقدر أن أخبرك ماذا حدث لها ، لكنك طبيب وأنا أعلم جيدا أنك تحبها ، لأنك طالما كلمتني عن حبيبتك ولم تذكر لي إسمها ، ولا أي شئ عنها ، كأنك تدفن شخصيتها بين ضلوعك ولذا كان يفيض من آلامك وأحزانك كنت تقصه علي دون إرادتك .

قال وليد : نعم أحبها ولا أقدر علي نسيانها فهي حبي الأول والأخير .

قال الدكتور مازن : هي الآن بين يدي الله ولا أحد يقدر على مساعدتها غيرك .

قال الدكتور وليد : كيف لي بمساعدتها ؟ والدها لم يقبل أن أدخل عليها الغرفة ، سوف يحدث مثل ماحدث قبل سابق .

قال الدكتور مازن : نعم هو قال لي أنه يريد أن ينقلها مشفى أخري عندما رآك ، لكن لاتخف سوف أتصرف إستعد أنت فقط وسوف يفعل الله مايريد .

قال الدكتور وليد : ماذا ستفعل ياصديقي وماذا تقول له .

قال الدكتور مازن : إنتظر قليلا وسوف تعرف .

خرج الدكتور مازن من غرفة الدكتور وليد وذهب إلى غرفة العناية ليرى الحاج محمد ، وجده ينظر من وراء الزجاج على ابنته وهو يبكي .

قال الدكتور مازن : أنا لم أعثر لها على مكان في مشفى آخر فكل غرف العناية مكتملة وليس لها مكان غير هنا ، إن أصررت على خروجها من هنا فسوف تكون أنت سبب في موتها .

قال الحاج محمد : كيف لا يوجد لها مكان في أي مشفى ؟

قال الدكتور مازن : هذا ماحدث وإن لم تصدقني فاذهب أنت وإبحث لها عن مكان .

صمت الحاج محمد قليلا وقال له ولكن هنا طبيب لاأريده أن يدخل علي ابنتي .

قال الدكتور مازن هل تقصد الدكتور وليد إطمئن لن يدخل ، هو سوف يقدم على أجازة مفتوحة ولن يعود إلى المشفى حتى تذهبا منها أنت ومنى ، ولكن عندي لك نصيحه سوف أقولها وأتركك ، قال له لأحد يقدر على مساعدة منى غير شخص يحبها أكثر من روحه ، وهذا الشخص هو الدكتور وليد ، فكر وقرر قبل فوات الأوان هو لايريد منها شئيا غير أن تكون سعيدة فقط ، أنت دمرت حياتها وتسببت فيما هي عليه الآن فرجاء منك ، أترك الدكتور وليد يساعدها علي ضمانتي أنا الشخصية وتأكد أنه سوف يحافظ عليها لإنه يحبها كثيرا وإطمئن أنا لم أخبره بشئ عن ماحدث لها إذا أردت أنت إبلاغه فأبلغه وإن لم ترغب فلا تفعل هو سوف يتعامل معها بكل أمانه وإخلاص كطبيب فقط ، وإطمن ياحاج محمد هو تعلم الدرس جيدا ، وتركه يفكر مع نفسه .

ذهب الدكتور مازن ، إلى الدكتور وليد ليخبره ماذا حدث

قال الدكتور ماذن : سوف يأتي لك الحاج محمد لكي تشرف علي علاج منى وهي في العناية ، أنا قلت له أنك الوحيد الذي تقدر على مساعدتها ، وأبلغته أيضا أنك سوف تأخذ أجازة لأنك لا تريد أن تستمر في المشفى ، ولكني سوف أقول لك كلمة يا أخي ، منى بين يدي الله فكن أمينا علي هذه الأمانة التي أضعها أنا بين يديك .

قال الدكتور وليد : هل توصيني على قلبي يا أخي ، إذهب يا أخي وادع الله أن يساعدني على تحمل الألم الذي يتألمه قلبي وهو يرى حبيبته بين الحياة والموت .

ذهب الدكتور مازن من المشفى وترك منى في رعاية الله ورعاية الدكتور وليد .

ذهب الدكتور مازن إلي الحاج محمد فوجده حزينا جدا فربت على كتفيه وقال له لقد تحدثت مع الدكتور وليد وترجيته أن يباشر حالة منى ، فهذا واجبي معك وليس من أجلك أنت أنا أحبك وأحترمك ولكن مافعلته بمنى شئ لايتقبله عقل ، أنا فعلت ذلك من أجل مني فقط ، وذهب الدكتور مازن وترك الحاج محمد مابين نارين نار ابنته التي ستفقد حياتها ونار كرامته.

ظل الحاج محمد واقفا يسأل نفسه ويحدثها ويقول لها كيف أذهب للدكتور وليد وأطلب منه أن ينقذ حياة ابنتي وأنا الذي كدت أن أضيع مستقبله وأفقدته كرامته أمام الناس فهو سوف يشمت في ويحاول أن يهين كرامتي مثلما أهنت كرامته ، لكن ألا تستحق حياة منى أن أضحي من أجلها بحياتي ؟ وهي التي ضحت بعمرها وسعادتها ونفسها من أجلي ، سوف أذهب له وأترجاه ويفعل بي ما يفعله سوف أتقبله وأتحمله من أجل ابنتي منى .

ذهب الحاج محمد إلى الدكتور وليد ودق الباب فأذن له بالدخول ولكنه دخل مكسورا مهزوما ورقبته محنية وهو ينظر في الأرض من خجله ، نظر إليه الدكتور وليد وتذكر كل ماحدث له في ذلك اليوم وقال لنفسه : من هذا الرجل هل هو نفسه الذي أهانني وقتل قلبي وحكم عليه بالموت ؟!، من يكون هذا الرجل هل هو

الرجل الجبار المتكبر المغرور؟! ، وابتسم ابتسامة ساخرة وقال ههههههه سبحان الله (يعز من يشاء ويذل من يشاء) ، ولكنه مع كل هذا الحديث الداخلي لم ينطق بكلمة عندما رأى الحاج محمد في هذا المنظر بل أشفق عليه وعلى حاله .

ذهب إليه بنفسه وسلم عليه وأمسك يده وأجلسه بجواره وطلب له ليمون ، نظر له الحاج محمد وقال له سامحني يابني .

قال الدكتور وليد : أسامحك إدع لنا الله أن يغفر لنا جميعا.

قال الحاج محمد : دكتور وليد منى بين أيدى الله .

قال الدكتور وليد : إطمئن عليها هي مثل أختي وسوف أرعى الله فيها .

بكي الحاج محمد وأخذه بين يديه ، قال له سامحني يابني وتركه وذهب وهو يمسح الدموع من عينه .

خرج الحاج محمد وذهب إلي غرفة منى ، تذكر الشيخ حسن صديقه فهو الصديق المقرب فاتصل به وقص عليه كل شئ حدث لمنى .

جاء الشيخ حسن له مسرعا وقلبه يتمزق من الألم وضميره يؤلمه فهو أصبح شريك الأب فيما حدث لمنى ، ذهب مسرعا الى الطبيب ليعرف حالتها الصحية فقال الطبيب إنها بين يدى الله هو أحن عليها منكم جميعا.

سمع الشيخ حسن كلام الطبيب وشعر أنه كان سببا من الأسباب التي حدثت لها فخرج من عند الطبيب والدموع تملأ عينيه ويطلب من ربه أن يسامحه على مافعله بهذه الطفلة المسكينة .

أخذ صديقه من أمام غرفة الإفاقة وذهب به إلى غرفتها في المشفى ينتظرون كرم الله وعطفه عليهم ، وجلس كل واحد منهم وأمسك مصحفا وظلوا يقرأون القرآن ويدعون لها أن تفيق ، ولكن الأمر سوف يطول فأمسك الحاج محمد المصحف وشرد بخياله مع نفسه ، يتذكر منى من يوم ولادتها وحتي يوم زفافها وتذكر أيضا الخطاب الذي كتبته له قبل خروجها من المنزل وأعطته لأخيها ياسين ليعطيه لأبيه وجلس وفتح الخطاب فهو لايزال في جيبه من يوم ما أعطاه له إبنه الصغير ففتحه ونظر إلى كلماته وكأن منى هي التي تلقيه عليه فتقول :

****

قتل طفولتى

وأنا أحبو علي ركبتي

ولا كنت أعلم

كيف يكون السير على قدمي

جاءوا وقالوا

سوف تكونين عروسا ياصغيرتي

قلت لهم كيف

وأنا لم أعلم شيئا عن أنوثتي

فأحضروا الحرير كفني

والجواهر والألماظ زينتي

وبالورود ودعونى

وبالطبول وبالدفوف زفوني

وعلي الأعناق حملوني

وكأنهم إلى القبر يرسلونى

وذهبوا وتركوني

أحترق وحدي في لحدي

ويأكل الدود من جسدي

والثرى يفني عظامي

وقبلت أن أتحدى نفسي

وأدركت أن هذا قدري

فأنا لا أحزن على حالي

ولا للأحزان أبالي

ولأحد يشعر بحالي

والله غني عن سؤالي

****

تذكر الأب كل هذا الكلام وكأنه شريط يمر على ذاكرته وظل يبكي ، تذكر كل شئ وهو يقول لنفسه هل كانت تعلم ما سوف يجري لها ؟ ، أم كانت تكتب هذا الكلام لتحرق قلبي عليها وتعذبني مثلما عذبتها أنا ؟ ، ولم أشعر أني كنت أرسلها للهلاك بيدي ، ظل يكلم نفسه وهو لا يعلم هل ابنته سوف تفيق من غيبوبتها أم أن الله سوف يحرمه منها مثلما حرمها السعاده ، فقام صديقه وجلس بجواره يهون على صديقه ويقول له أن الله أحن عليها منك يا أخي إستودعها عند الله وفوض أمرك لله .

لكنه ظل يبكي ويقول لو كل أب فعل بابنته مثلما فعلت أنا بابنتي لأصبح مجرما في حق نفسه قبل حق ابنته .

لكنه ندم علي أفعاله كلها ولكن ندم بعد فوات الأوان بعد ماحدث لها كل هذا وهو الأن يدعوا الله أن تفيق من غيبوبتها ولكن لا أحد يعلم هل يتقبل الله دعائه أم لا ؟

لكنه يتمنى لو أن الزمن يعود به إلى الخلف لما فعل بها كل هذا .

****

تم بحمد لله الجزء الأول من الرواية

وإلى اللقاء فى الجزء الثانى

بمشيئة الله

هند الهلاوي